

تنقل الألفاظ

الأستاذ عبد الهادي الفضلي
كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز

الجواليقي ومغرب المطرزي وشفاء الخفاجي والالفاظ الفارسية المربة لادي شير الكلداني ، وتوفرت جملة اخرى منها على التعريف بالكلمات العربية التي استعجمت كقاموس دوزي المستشرق الهولندي الذي جمع فيه المفردات العربية التي دخلت الاسبانية والبرتغالية و (الكلمات العربية في اللغة البرتغالية) لجورج ليان و (الكلمات العربية الشائعة في اللغة الانكليزية) لجرجيس فتح الله المنشورة بمجلة المجمع العلمي العراقي .

والفرق بين ظاهرة الاستعجم - واعني بها دخول الكلمة العربية الى اللغات الاخرى - وظاهرة الاستعراب - وهي دخول الكلمة غير العربية الى العربية - وبين ظاهرة التنقل في مجال الدراسة والبحث ومجال التدوين المعجمي واضح لا يتطلب فيما اعتقد اي شي من التوضيح .

والفرق في مجال الاستثمار الدراسي هو المهم هنا - فيما اخذ - ذلك ان دراسة الدخيل لا تكشف لنا في الغالب الا عن مجال من مجالات الكلمة قبل دخولها العربية قد يكون الاصل وقد يكون غيره . ودراسة الاستعجم هي الاخرى قد لا توقفنا على اكثر من مجال دخاته الكلمة العربية .

قد تعد ظاهرة تنقل الالفاظ من ابرز الظواهر اللغوية الاجتماعية لشيوعها بين مختلف اللغات ، وبخاصة اللغات الحية منها ، وفي كثير من المجتمعات ، وفي شتى انماط لغاتها من فصحة وعامية .

وهي : تعني تنقل الكلمة من لغتها الاصل الى اكثر من لغة ، ومن مجتمعها الام الى اكثر من مجتمع .

وتنشأ تلقائيا كأي ظاهرة اجتماعية اخرى ، وذلك بسبب الاتصال الحضاري عن طريق الترجمات ونقل المعارف وبسبب الاتصال الاجتماعي عن طريق الاسفار والهجرة .

ويفاد من دراستها وبحثها في التعرف على تاريخ الكلمة في نشأتها وتطورها وتغيرات هيئتها وتقلبات مضمونها .

وقد توفرت جملة من معجمات بعض اللغات على التعريف بها كالاتكليزية في مثل Webster's (International Dictionary وكالفارسية في (فرهنك نفيسي) . . غير اننا لا نجد مثل هذه المعجمات في اللغة العربية مع توفر جملة من معجماتها على التعريف بالدخيل امثال : معرب

- 10 - امراطور Emperor - اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 11 - بنك Bank - الإيطالية القديمة . الفرنسية . الانكليزية . الفارسية . العربية .
- 12 - كاش Cash - اللاتينية . الإيطالية . الانكليزية . العربية .
- 13 - بلاتين Platinum - الإسبانية . الانكليزية . العربية .
- 14 - ماركة Mark - الألمانية . الانكليزية . العربية .

وكنموذج تطبيقي نأخذ مثالا واحدا من الكلمات المعربات المنقولة ، هو كلمة (كعك Cake) العربية عن الفارسية ، وهي من المعرب القديم الذي يمتد في تاريخه الى اوائل العصر العباسي .

فاننا عندما نرجع الى تاريخها في لفظها الانكليزي (كيك Cake) نجد انها انتقلت من اللغة النرويجية القديمة الى اللغة الألمانية القديمة ، ومن الألمانية القديمة انتقلت الى اللغة الانكليزية ، ومن الانكليزية انتقلت الى العربية بلفظها الانكليزي (Cake) وراحت تستعمل الى جانب لفظها السابق المعرب عن الفارسية (كعك) وفي معنى آخر يشبه معناها السابق .

وهذا الاختلاف جاءها - فيما أخال - من انها سلكت في دخولها الى اللغة العربية طريقتين : طريق الفارسية قديما وطريق الانكليزية حديثا ، واخضعت في اولها الى اصول التعريب فتحولت الى (كعك) ، بينما لم تخضع في ثانيها الى تلك الاصول فبقيت على لفظها الأعجمي (كيك) ، وربما عاد ذلك الى التفرقة بين معنيي استعمالها والى ضعف الالتزام بأصول التعريب .

وفي ختام حديثي هذا اعود فأقول : ان هذه الظاهرة تتطلب كثيرا من العناية في دراساتها اللغوية وبخاصة المعجمية منها لما ستلقيه من الاضواء على الكثير من المسائل والقضايا اللغوية بمختلف حقول اللغة وفروعها .

اما في دراسة تنقل الالفاظ فمجالات الافادة كثيرة ، منها ما ألحت اليه اعلاه ، ومنها الكشف عن قابلية الاستيعاب في لفتنا وقوة الهضم والتمثيل وسعة التفاعل مع اللغات الاخرى اخذا وعطاء مما يجعلها مرتفعة الى مصاف اللغات الحية المرنة ، التي اكتسبت صفة التقدم نتيجة التأثير والتأثر والتبادل اخذا وعطاء .

ولعلنا في ضوء ما نراه من توسع كبير في الدراسات اللغوية المقارنة يجعلنا نتوقع صدور مثل هذا المعجم الذي يعنى بتاريخ الكلمة العربية المستعربة او المعربة عن قريب باذن الله تعالى .

وكأمثلة اضع بين يدي القاريء الكريم اضمامة صغيرة من الكلمات المعربة المنقولة التي أفدتها من بعض المعاجم الانكليزية وبخاصة المعجم المذكور اعلاه ، وبمساعدة زميلي السيد جورج يول George Yule استاذ اللغة الانكليزية بكلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز الذي يسر لي كثيرا مهمة الرجوع الى المعاجم الانكليزية . والكلمات هي :

- 1 - موسيقى Music - اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 2 - مغانطيسيس Magnat - اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 3 - كريستال Crystal - اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 4 - نرجس Narcissus - اليونانية . اللاتينية . الانكليزية . الفارسية . العربية .
- 5 - بوليسيس Police - اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . الفارسية . العربية .
- 6 - كلية College - اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 7 - بروفيسور Professor - اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 8 - ليمون Lemon - اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية . الفارسية .
- 9 - صراط Street - اللاتينية . الألمانية القديمة . الانكليزية القديمة . العربية القديمة .

مَظَاهِرُ التَّعْرِيبِ

الأستاذ محمد بن تاويت

أما ابدال تلك الهاء « المخفي » كما يسميها
الفرس ، قافا ، فذلك ما كان مطردا في العربية ، كما
كان مطردا أيضا ابدالها جيما ، كما في كلمة «برنامج»
التي أصبحت برنامج ، وقد عقد سيوييه في كتابه
فصلا سماه « باب اطراد الابدال في الفارسية » فذكر
من هذا كوسه وموزه وكربق وقربق ، الى غير ذلك من
الكلمات ، التي يكتفي فيها بهذا الحذاء العربي في
نهايتها ، اعني الجيم او القاف .

وطبعا انهم لا يقبلون الحروف التي لا
يستعملونها ولا يلقون اجراسها ، فالحرف P
ينقلب باء او فاء ، والحرف G ينقلب جيما غالبا ،
والحرف V ينقلب واوا في الغالب كذلك .

وبعد هذا لا بد من انسجام في الهيئة والامتداد ،
فتبدل بعض الحركات بغيرها او تحذف بعض
الحروف التي تتعدى الكلمة طورها في العربية ،
ان لم تحذف منها تلك الحروف ، في الغالب أيضا ،
ولم يتحموا هذا للاضطرار ، بل اخذوا كلمة «جلاب»
وهي ماء الورد .

وهكذا كانت مشكلة التعريب في القديم ،
مسألة التعليم بمدولنا ، ولم تكن مشكلة التعريب كما
فهنا ، فالقضية تهذيب لفظي بوسائل في غاية
البساطة .

لما ترجمت العلوم الى العربية ، اتخذ فيها ما
كان مهبودا من ذي قبل ، فقيل ، فلسفة في

كثيرا ما قلنا ان التعريب كان منصبا على
الانفاظ ، بينما التعريب الآن منصب على المعاني
فما معنى هذا الكلام ؟

معناه ان العربي ، كان اذا جلب كلمة او جلبت
اليه ، يستغني بالباسها لباسه العربي ولو بغطاء
الراس مثلا او الحذاء

جاءته كلمة « كروان » بمعنى انقافلة ، فقال
فيها قروان ، وغطى رأسها بالالف واللام فأصبحت
القروان او القيروان ، وبذلك صارت الكلمة تتمتع
بكل الحقوق التي تتمتع بها الكلمة العربية في
اعرابها ، فلا تمنع من الصرف لعلة المعجمة ، لانها
قد ارتفعت عنها بهذا العقال ، الذي هو هنا الالف
واللام ، كما حدث في الهند والصين والروم والترك .

سمع النبي عليه الصلاة والسلام ، من سلمان
الفارسي ، كلمة خندق فاستفسره عن معناها ، وهي
اسم مفعول ، من كندن الفارسي بمعنى الحفر ،
فكانت كنده ، وعربت بان ابدلت الهاء التي لا تنطق
قافا ، فصارت خندق ، فتقبلها النبي ولم يأنف من
استعمالها بل اشتق منها خندقوا ، فسميت
الغزوة بغزوة الخندق .

ولعل الكاف كانت في النطق تميل الى الخاء ،
كما هي في اليونانية والعبرية ، وهي ما تسمى عند
مقرئي المغرب بالكاف الموسوس ، ولهذا نطقت خندق .

كل ما فى طاقتها من قوة فهل العربية قادرة على هذا ؟

نعم ، هي قادرة . لو مكنها من قدرتها ، ونفسها بطول الانفاس ، ان لم نكتبه فيها .

والعربية ، الى جانب احتمالها للالفاظ ، تحتل كذلك ما نطلبه من معان فيها ، ان كلماتها لا تنفذ . بما فيها من اشتقاق وخيالها بحمد الله خيال خصب ، يسعها بالتشبيه وما ينشأ عنه من استعارات ، ويسعها بهذا التداعي الذى تتولد منه الكنايات ، ولا يبخل عليها استعمالها العتيق ، بهذه المجازات المرسله ، ثم النحت .

لقد تقدمت فى الاشتقاق ، كلمة « خندقوا » من الخندق ، ولنا ان نزيد على هذه الصيغة كل الصيغ المعروفة فى المادة العربية نفسها ، فتسعنا فى الاعمال بأنواعها واوضاعها ، وتسعنا فى الصفات بأنواعها كذلك واوضاعها ، وتسعنا فى اسماء الزمان والمكان والمصادر على اختلافها ، كما تسعنا الكلمة العربية ، عند الاحتياج الى نسلها من اولاد واحفاد

هذا الاشتقاق الطليق ، لا نجده فى غير العربية ونجد امثلة من اليواقي فى غيرها ، مثل ما نجد فى الفارسية والتركية والفرنسية ، ازاء البطاطا ، حيث شبهتها جميعا بالتفاح الذى اضافته الى الارض ، فقالت الفارسية « سيب زمين » والتركية « ير الماسي » والفرنسية **Pomme de terre**

وسمت الاسبانية ملابس العمال ، ذات القطعة الواحدة « Mono » اي قرد ، كما سمت الالة التى ترفع بها جوانب السيارة باسم « Gato » اي الهر ، لانها تشب مخلصها فى جانب السيارة ولم تأنف ان تسمى بالبق « Chinche » المسمرات التى تثبت الورق ونحوه .

وقالت الانجليزية للقطار السائر تحت الارض **Underground** اي تحت الارض ، مجازا مرسلًا ، كما استعمل هذا المجاز المرسل فى نحو « سندويتش » « Sandwich » و« كرافاط » « Cravate » وكان الاصل فى هذين انهما اسمان لرجلين استعملهما .

وأمن الالمان ، كما نعمن نحن فى الاشياء لنستخرج اسماءها ، بدقة وطبق الاصل ، فسموا « الهيدروجين » باسم **Wasserstoff**

Philosophia و**Philosophos** وقيل ، فاطيفورية **Kategoria** والسفسطة **Sofisikae** وايساغوجي **Isagoge** وغير ذلك من الكلمات اليونانية الاصل ، ولم تجد العربية الفسيحة الصدر فى هذا حرجا او احراجا ، وقد وجدنا الابهرى من رجال القرن السابع يؤلف فى المنطق رسالته « ايساغوجي »

Taos	كما عربوا الطوس من
Zone	والزنار من
Kassitoros	والقزديسر من
Ibrizón	والابريز من
Diáblos	وابليس من
Thériaka	والترياق من
Chartés	والقرطاس من
Genos	والجنس من
Esthlós	والاثير من
Gramatika	والاجرومية من
Asfaltos	والزفت من
Karyofyllon	والقرنفل من
Gypsos	والجبص من
Staflinos	واصفلينة من
Sotolos	والاسطول من
Astron-lambauo	واسطرلاب من
Drachmé	والدرهم من
Kados	والقادوس من
Atlas	والاطلس من

ولا شك ان كلمات من هذه عرفتها الجاهلية ، كالقرنفل والدرهم وابليس ، ولكن معظمها لم يعرف الا عند الترجمة ، ولا يعزب عن البال ، ان كلمة الاجرومية ، ليست منسوبة الى ابن آجروم المغربي ، كما يتوهم ، فان القضية اتفاقية ، وكثيرا ما يقع هذا الاتفاق فى اللغات .

هذه امثلة بسيطة ، اذا كانت الحياة على نمط من البساطة ، اما الان فقد تعقدت الحياة وتعاقبت المخترعات وازدحمت فى هذه الدنيا المخلوقات ، فأصبحت وكأنها دار تسكنها عائلة واحدة ، لا بد من التعارف التام فيها والاتحاد فى مدلولاتها ومزاولة كل فرد منها ما يزاوله الآخر

فصارت مسؤولية اللغة شاقة ومتطلباتها كثيرة ، وعليها ان تقوم بأعباء ذلك وعليها ان تستنفد

يتصل بالوصف ، وتسجيل خطوات اللفه . وموقفها من طبيعة الأشياء ، فكان منها بعض اللمحات عن موضوعنا هذا ، مثل « باب الحكاية التي لا تغير فيها الاسماء عن حالها » فالتركيب اذن معروف بين كلمتين عند النحاة ، قديما وحديثا .

اما النحت بهذا الاسم قليلا ما يتعرض له النحويون . ومن هؤلاء الخضري ، اذ يقول فيه « وهو ان يختصر من كلمتين فكثر ، كلمة واحدة ، ولا يشترط فيه حفظ الكلمة الاولى بتمامها بالاستقراء ، خلافا لبعضهم ، ولا الاخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات » .

وبهذا نعم كلمة النحت في تركيب الكلمة من كلمتين وفي اختصار كلمة من كلمتين أو أكثر ، والنوعان معا موجودان في العربية ، وفي جل اللغات غيرها ، وان كان بعض منها يعيل الى التركيب اكثر مما يعيل الى الاختصار ، على عكس العربية . كما سنرى :

تقول العربية « البسمة » و « الحمدلة » و « السجدة » و « الحوقلة » و « السمعة » ، من قولنا : « بسم الله » و « الحمد لله » و « سبحان الله » و « لا حول ولا قوة الا بالله » و « السلام عليكم » ، كما تقول « الهيلة » و « الحيلة » . ويزعم ابن فارس ان كل ما زاد على ثلاثة ففيه نحت وتقول « التحييد » كما تقول غير هذا من جمل عديدة ، ونشتق من ذلك الافعال وغيرها مما يشتق من كل مصدر ، وهذا أيضا مما تمتاز به العربية وتفضل على غيرها ، فان باقى اللغات ، تستعمل هذا النحت في حالة معينة ، تستوجب منها هذه العملية ، وتقف عند هذا الحد ولا تتعداه غالبا فهي في ذلك تلتزم ما التزم - غالبا - في اسماء الافعال والاصوات من العربية ، وهذا الباب أيضا ، مما توسعت فيه العربية ، بخلاف غيرها .

مثلا ، نجد الالمانية تمنع في حقائق الأشياء ، وتحاول ، مثلنا ، ما أمكنتها الحيلة ، ان تدخل المعاني الى لفتها ولا تدخل اليها الالفاظ ، سواء منها ما كان مفردا وما كان مركبا ، فمن المفردات ، نجد كلمة التاريخ ، غير مستعملة عندها ، كما هي في باقى اللغات الاوربية ، بل اشتقت لها من مادتها الالمانية كلمة سرد Geschichte ولكن المؤرخ Historiker والوصف historisch فهي اذن لم تبق حرة طليقة وكذا الامر في المركبات ،

فركبوا الاسم من كلمتين Stoff اي جوهر ، و Wasser اي ماء ، فصار الاسم هكذا ، الجوهر المائي ، او جوهر الماء (كما في الفارسية والتركية مولد الماء)

وقد كلفهم هذا الاعتزاز كثيرا من العنت . اضطروا معه ، الى تركيب اسم لسمى واحد من كلمتين أو كلمات ، في بعض الاحيان ، فلا يكتفون غالبا بالنحت ، الذي نجده في جل اللغات ، ومنها العربية .

وقيل ان ناتي بأمثلة من العربية لهذا النحت . نرى ان تقف وقفة قصيرة ، عند أصله اللغوي . .

فالنحت أصله ، النشر والشر والقطع في الصلب من المواد ، كالخشب والحجر ونحوهما . وقد يكون هذا من كلمتين ، كما ينحت النجار ، خشبتين ويجعلهما قطعة واحدة ، كما يكون من قطعة واحدة ، وهو الأصل ، كالنحيتة التي تنحت من جذم شجرة ، على هيئة الجب للنحل ، وهذه النحيتة هي المعروفة عندنا باسم الجباح ، ومن هذا قول الأعشى :

الست منتبيا عن نحت أثلتنا

ولست ضائرها ما اطت الابل

اما النحت في الحجر ، فمنه قوله تعالى « وتنتحون من الجبال بيوتا فريين »

هذا ما يتعلق ، بأصل المادة من اللفه .

واما معنى النحت في الاصطلاح ، فهو صوغ كلمة من كلمتين فكثر .

ويدخل في هذا التعريف ، تركيب كلمة من كلمتين ، مما تناوله النحاة ، في عدة ابواب من كتبهم . وفي الالفية نجد التعرض للتركيب المزجي ، في باب العلم ، وباب ما لا يتصرف ، وباب النسب ، كما نجد الإشارة الى المركبات عامة في ابواب غير هذه .

وجملة القول ان النحو تعرض للمركبات من الاسماء الا ان تعرضه هذا كان لجرد الاحكام النحوية والصرفية الواجب تطبيقها عليها في الجملة .

نعم ان « الكتاب » لسبويه لم يقف عند تطبيق الاحكام ، بل وقف عدة وقفات ، كان منها ما

فتقدم انها سمت «الهيدروجين» باسم اصل الماء او جوهر الماء ، هكذا Wasserstoff ماء Wasser ومادة Stoff مركبين وهي في هذا قد استعانت بأصل الكلمة اليونانية hudór أي ماء ، و gen أي اصل من مصدر genna-ein فحلت مشكلتها ووقفت عند هذا الحد بالرغم من أن لها في لغتها روافد عديدة ، حيث انها تحتوي على عدة لهجات تغنيها عن غيرها غالبا .

ومهما يكن ، فاننا بصدد العربية ، وموقفها من عملية النحت الذي عرفه ابن فارس بقوله « تؤخذ كلمتان وتنحت منها كلمة آخذة منهما جميعا » فقد رأينا انها تجمع بين الطريقتين فيه ، والقدامى حاولوا احصاء المنحوت في العربية ، فوقف بعضهم عند بضعة عشر من امثله ، وآخرون لم يتعدوا او لم يصابوا بها الى المائة .

غير أن ابن فارس جرى بعملية النحت اشواطاً قارب بها نحو الألف ، حيث يرى أن أكثر الرباعي والخماسي منحوت من كلمتين .

والواقع أن هذا العدد لا يعيننا بقدر ما يمكننا من الحرية في عملية النحت ، الذي أصبحت الحياة المعقدة تاج علينا فيه ، وأصبحت الاجناس البشرية، تتقارب فيما بينها وتكون لها مجتمعات على مستوى الدول عامة او على مستوى جماعة منها او على فكرة من الافكار ، بعد المخترعات العديدة ، التي قد تتطلب مئات الاشياء وآلاف الأدوات ، وكل ذلك لا بد من تسميته مركبا بعد أن كان مسمى مفككا او على انفراد اجزائه ، فكان الاتوموبيل والتيليفون والتلفزيون ثم التلفزيون والنيلون ، هذه الاشياء تعد من أبسط ما واجهنا به النحت ، كما واجهنا بالديموقراطية والديكتاتورية والنازية ونحوها ، وكانت اليونسكو والمخترعات الكيماوية مما وجدت لها حلا في اللغات ، فكيف بنا الآن أمام المخترعات الفضائية التي تتألف من مئات الاشياء وآلافها ؟

وعلى كل حال فاننا من استعراضنا للوسائل التي تستعملها العربية في تعبيرها ، وجدنا منها ما استعمل ترفا ، كالتشبيه والمجاز عموما وكالكناية ، وما استعمل بداعي الحاجة ، كالاضافة والنسب والاشتقاق الذي يطبق على هذه جميعا ، كما يطبق على غيرها فيما سنرى وعلى العموم فقد دخلت الاولى في منطقة تجميل الكلام ، وهي « فن البلاغة » ، ودخلت الباقية في ضروريات الكلام ،

فهي في التصريف والنحو، وضربنا لذلك امثلة باللغات الاجنبية ، وهي تعم الجميع .

ومن تلك الامثلة ، ادركنا انه لا حدود فاصلة تامة بين النوعين المذكورين ، فقد تدعو الضرورة، فلا تجد من يسعفها الا وسائل الترف ، وقد لا تكون هناك ضرورة ، ومع هذا تستعمل وسائلها . وبذلك ينشأ المترادف ، كما ينشأ بالتلف والمغرب وتعدد اللهجات . ومن المفيد أن تأتي ببعض الامثلة التي هي في العربية مقابلة لتلك التي ذكرناها من غيرها .

فمن الاضافة وجدنا قوس قزح واكسير الحياة ، وحب العزيز في مصر ، وحب الملوك في المغرب ، ودار الصنعة ، وبيت المال ، ودار الثقافة بالمغرب . ومن النسب : اليماني والهندي في القصص ، وفي معناه الجديد في عاميتنا ، كالكومية والوزانية فيها ، والمهلبية بالشرق والمنصورية بالمغرب ومن الاشتقاق ، كالثشيرة ، بمعنى ما يعرف الآن باسم « القاتورة » ويصح ان نضع فيها « النغالة » أيضا ، وكلتاهما للمفعولية والاخيرة « النفولة » . ومن الاستعارة كيد الدهر ، ورأس الكلام ، ومرآة الحياة ، وشباب الزمان ، ولحن السعادة ، ودمدمة الشقاوة ، و « طعام الاثيم » و « العزيز الكريم » تهكما . ومن المجاز المرسل ، شرب الكأس ، (ولا بأس بالجرسي Jersey) والتكلم مع الدار ، وجعل الاصابع في الاذن وعصر الخمر ، والبرتقال للفاكهة المعروفة، ومن الكناية أهل الحجر والمدر والوبر، وبيت الماء، وأهل الدار، وعريض القفا، للحمار، كما في حديث من فهم الخيط الابيض والاسود على الحقيقة ، وريق النحل ، والتكف وخفة اليد . . . اما التشبيه ، على ما هو عليه ، فلا وجود له ، فيما نعلم بالعربية ، ولكن خليل التركي استعمله كثيرا ، في مختصره المعروف ، وقلما يخلو منه باب من ابوابه ، وهذه امثلة قليلة من ذلك : « بكاعزى » في اليمين ، « في كسبيل انله » بالنذر « من كقاعد » في الجهاد ، « في كافرقيقة » بالنكاح « لا بكاعتراض » في الخيار منه ، « من كابل » في الصداق ، « عند كامها » في نكاح التفويض ، « علي كجدار » في وليمة البناء بالعروس ، « ولو بكتقويم » في الطلاق ، « وان بكاحرام » في الارتجاع ، و « بكمشيئتها » في الظهار ، و « وفي كالثلاثة » - الايام ، وفي التطوع او غيره ان خرج - « لكرباط » فهذا مثالان وردا في رفع زوجة المفقود، و« نبد بكدباء »

في الطعام الباح ، وهو كثير جدا . ويكلف الشراح تأويلا يدعونه بحذف المنعوت والواقع ، ان الصنيع التركي ، هو الذي شجع هذا التركي العظيم على استعماله ، المذكور ، وهو الذي جعل شوقي التركي يقول :

ودخلت في ليلين فرحك والدجى
ولثمت كالصبح المنور فساك

فهذا التشبيه « كالمنور » هو المفعول به على الحقيقة ، كما ان ما قام مقامه ، في قوله : « ما يشبه الاحلام » هو الفاعل في البيت :

يا جارة الوادي طربت وعادني
« ما يشبه الاحلام » من ذكراك

وكذلك نجد لشوقي هذا الصنيع في نحو قوله :

ولا ينيبك عن خلق الليالي
كمن فقد الأحبة والصحابا

فقد جعل الفاعل هنا ، المشبه به أداة التشبيه ، ولا شك انه نظر في ذلك الى قوله تعالى : « ولا ينبئك مثل خبير » .

فالفاعل في الواقع المشبه به أداة التشبيه « مثل » اذ هي في المعنى لا تستقل بنفسها ، وان كانت في الصناعة فاعلا بنفسها ، مما اهلها في التركيب العربي ، لما لم تؤهل له كاف التشبيه .

ولكن غير شوقي وخليل ، ان احتاج الى هذا التشبيه ، احتال عليه ، فقال : « ذهب الاصيل » و « لجين الماء » و « حمار الشيخ » ونحو ذلك ، مما اضيف فيه المشبه الى المشبه ، وقد استعمله جدا ، ابن خفاجة ، زيادة على الصورتين الاولييين خصوصا في قصيدة له مطلعها :

يا رب ليل بته
وكانه من وصف شعرك

ومن الوسائل التي تتوسع بها اللغات في دلالاتها ، وسيلة التعميم والتخصيص ، فالخاص يستعمل في المعنى العام والعام يستعمل في المعنى الخاص .

وقد تنبه الاصوليون وعلى رأسهم الشافعي الى هذا في النصوص الشرعية بصفة خاصة ، الا انهم توسعوا فيه ، حيث كان قصدهم مناط الاحكام ، ولم

يكن مناط الدلالات ، بمعنى انهم اقرؤا بعض العمومات في دلالاتها اللغوية وان خصصوها في احكامها الفقهية ، فجاءتها هذه الخصوصية بنحو الاستثناء الذي اجاز فيه ابو حنيفة وغيره ان يتأخر عن المستثنى منه بمدة السنوات ، او نحو الصفات التي تقصر الاحكام على موصوفاتها ، وهكذا مما يطول الكلام فيه ، وحسبنا ان نجد له نماذج في باب اليمين بمختصر خليل عند قوله « وخصمت نية الحالف وقيدت » الى آخر الباب وفيه ايضا تعميم للخصوص والعام الذي اريد به الخصوص وهو الغالب .

ثم كان انبلاغيون والمناطقة يعالجون هذا النوع من التوسع ، فالبلاغيون حينما امعنوا في المجازات المرسلة وجدوا من نماذج ما يتصل بهذا الجاز ، لدرجة ان نشأ الخلاف بين الاصوليين فيه ، هل هو جميعا من قبيل المجاز هذا ؟ والمناطقة نظروا اليه وهو يقوم بمهمة الدلالة اللغوية ، فكان تناولهم فقهاء لغويا في الصميم ، كما نجد في السلم اذ يقول :

دلالة اللفظ على ما وافقه
يدعونها دلالة المطابقة
وجزئه تضمننا وما لزم
فهو التزام ان بعقل اتزم

وقد توسع فقه اللغة الحديث في هذه الدلالات وساط عليها الاستقراء التاريخي والتطور الاجتماعي والجنسي وهي على كل حال خاضعة لهذا الحصر المنطقي .

ومهما يكن فالعربية عرفت في الجاهلية هذه النماذج التي تتراوح بين التخصيص والتعميم ، وتوسع فيها الاسلام فالشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والطهارة والوضوء والكفر والايمان والشرك والجهاد والتكبير والتحميد والركوع والسجود وغير هذه من مئات الكلمات التي جددت دلالاتها في الدين الجديد ، كلها من هذا القبيل .

وقد الف الراغب الاصفهاني كتابه القيم « مفردات غريب القرآن » فأرجع هذه المفردات الى عموماتها او خصوصاتها في اصل الاستعمال اللغوي ، الذي لم يقطع الاستعمال الجديد في الاسلام صلاته بالقديم فيها .

فهذه الصلاة والزكاة والطهارة ، نجدها في آية واحدة تمد يدها الى عمومها فتقول « خذ من أموالهم

صدقة تطهرهم وتزكئهم بها وصل عليهم ، ان صلواتك سكن لهم » .

والكفر نجده يستعمل فى معناه من الستر ، فعم الزراع لسترهم البذور ، ولهذا وردت الآية « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » اى الزراع ، ومن هذا الستر تكفير السيئات الذى ورد منه فى القرآن عشرات من الآيات ، مثل « كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم » ومثل « ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا » ومن العجيب ان نجد هذا الستر فى الكلمة باللغات الاوربية ، فى مثل Cover الانجليزى و Cubrir الاسبانى ونحو ذلك فى اللغات الآخذة من اللاتينية كالإيطالية والرومانية وغيرهما .

ومن الكلمات التى صارت تنجح الى التخصص كلمة الانتقاد ، فهى كذلك فى العربية وكذلك أختها Critic فى غيرها وهكذا العربية استفادت من التخصص فى عصرنا ، كما نجد ذلك فى تسمياتها الطائرة والدبابة والفواصة والعمامة والمدمرة والمدفع والحافلة والشاحنة والجرار والجراف والسيارة والدراجة والاسعاف والامن والنظام والاستقرار والمخبر والساعي والنجدة والانتقاد والامين والشوكة والسكينة ، وغير هذه مما يجد باطراد مستمر ، وقد يشتق من بعض هذه ، كالطيار والمطار ، كما اشتق من المطبعة الطباعة وغيرها .

فهذه كلها معان جديدة ولدتها أم التخصص لهذه العربية ، ولا أفهم مطلقا من يقولون ان دلالات الالفاظ فى العربية لم يطرا عليها تغيير فهذه القولة تسيء الى العربية ولا تشيد بفضلها .

بل ان التطور فى الدلالة ، حاصل حتى فى هذا التخصص . وهذه الكلمة نفسها ، وقد جاءت عفوا فى عبارتنا تطورت فى مدلولها عما كانت عليه بالامس ، فكلمة « التخصص » الآن لها مدلول لم يكن يعرف على ما هو عليه عندنا ، فهذا متخصص فى فقه اللغة العام وهذا فى فقه اللغة الخاص ، بالمقارنات او الاشتقاقات او التاريخيات او ما الى ذلك من نوع الدراسات اللغوية وهذا متخصص فى امراض الكلى وآخر فى لين العظام وآخر فى الجهاز الهضمى او البولي او السمعي او التنفسي او ما الى ذلك من الاجهزة الكثيرة ، زيادة على التخصص فى الاسنان والعيون ، مما اصبح مستقلا بنفسه تمام الاستقلال ، وسيأتي يوم يتخصص فيه طبيب الاسنان بالفك الاعلى ، وآخر بالفك الاسفل ، وطبيب العيون ، بالعين اليمنى وآخر بالعين اليسرى ، وطبيب الآن كذلك .

نعود الى هذا العام الذى خصص فى غير العربية ، لنقارن بين طبيعة التخصص فى العربية والمتخصص فى غيرها فكلمة Avion فى الاسبانية وغيرها ، وكلمة Aviación فيها وفى غيرها ، تقابلان ما تخصص فى العربية بالطائرة والمطار ، بضم الميم ، كما سترى .

وهنا تقف غير العربية ، فليس فيها طيار مشتق من Aviar بل فيها Piloto ونحوها ، بما لا علاقة لها بمادة الطيران ، بل هو من Pilotear العام فى الجو والبحر والارض ، وان كان قد اشتق له فيما مضى Aviador فى الاسبانية، ونحوها ، و Aviator فى الانجليزية كذلك ، الا ان الاستعمال الآن جنح الى المعروف بكونه يعم القائد والمرشد فى السماء والارض والبحار ، وقد بدأت العربية تجاري عولاء فى هذا الانحراف عن المادة الاصلية ، فصارت تسمى الطيار ، ربان الطائرة او ملاحها . ولا لزوم لهذه المجازة ، خصوصا وانها تستبدل بالكلمة الواحدة ، وهى الطيار ، كلمتين ، وهما ربان الطائرة او ملاحها ، ، زيادة على ان العربية لها فضل السبق فى خلق كلمة طيار للادمى ، وقد مضى عليها اربعة عشر قرنا ، منذ لقب بها الشهيد جعفر بن ابي طالب رضى الله عنه .

نكتفى بهذا المثال ، مما هو فى غير العربية من العام المخصص ، وتوجه الى مقابله ، الخاص المعم .

فمن ذلك كلمة الرائد ، فقد اشتق هذا من الورد الى الماء خاصة ، ثم تمم بالاتيان الى كل مطلوب ، وكان الرائد الذى يتقدم قومه فى السفر ليهديهم الطريق ، ومنه الرائد لا يكذب قومه ، بل صار الورد عاما فى كل آت مادي او معنوي حقيقي او مجازي ، مثل ورد فلان وورد الخبر علينا وورد الماء والتيار الكهربائي او الضوء ان اردنا .

ومن ذلك كلمة الاستنباط ، فقد كانت خاصة بعمل النبط ، وهو استخراجهم للمياه ، الذى مهروا فيه ، كالفيلاليين فيما مضى عندنا ، ثم صار كل استخراج للمياه يسمى استنباطا ، ولو لم يكن المستخرج نبطيا . ثم زاد التعميم فى كل استخراج للمياه وغيرها ثم تعدى هذا الى المعنويات ، ولازمها حتى اصبح او كاد يتخصص بها فيقع له ما سيقع لرواد الفضاء ، فيطلق عليهم رواد بدون هذا القيد .

ومن ذلك كلمة ماهية التى دخلت الى العربية من « ماه » القمر فى الفارسية ، وهى بمعنى المرتب

الشهري ، ثم أصبحت تطلق على كل مرتب ، شهريا كان أم غير ذلك .

وتظيره كلمة مشهورة التي دخلت الفارسية من العربية بمعنى المرتب الشهري ثم صارت تطلق على كل مرتب شهريا كان أم غير شهري .

ومن ذلك كلمة كفل ، وقد جاءت الي عفوا ، فوجدت أصلها خاصا بالكساء الذي يوضع على ظهر البعير فيعقد طرفاه ويلقى مقدمه على كاهل البعير ومؤخره على عجزه ، فالالكفال غير الإحلاس ، كما في الامثال ، ثم قيل تكفل الحمار ، اذا حلق ثوبا على ظهره وركبه ، ثم اطلق على كل اشتغال مادي ، ثم معنوي كالنفقة والقيام بالاشياء عامة ومضاعفة الجزاء ، وصارت الكلمة تجنح الى المعنويات فيقال تكفل فلان بالامر ، اذا تعهد القيام به .

وهكذا تتعمم الكلمات في مدلولاتها التي كانت خاصة ، بالكثرة التي جعلت اللغويين ، يدعون أن الكلمات في نشأتها كانت خاصة ، وما تعممت الا اخيرا ، حيث ارتقى الانسان ، فأدرك الكليات بعد ادراكه للجزيئات ، وهو ما أدركه المناطقة عموما ، فقال السلم مثلا :

من أوليات مشاهدات
مجربات متواترات

الى آخر اليقينيات التي نشأت من المشاهدات هذه امثلة من العربية ، اما غيرها ، فكلمة Arrive الانجليزية ، كان معناها الوصول الى River أي النهر ، ثم صار معناها الوصول مطلقا وكلمة Salary كان معناها النقود التي تصرف لشراء الملح من كلمة Sal ثم صار معناها ما يدفع للاجير او الموظف عامة وصارت تجنح الى المرتب الشهري وهكذا نجد في عدد من اللغات يصبح الخاص عاما ثم تدور الدائرة فيصبح هذا العام خاصا في معنى جديد غالبا واللغة كائن حي نشيط

ومن هذه الوسائل التي توسلت بها العربية في توسعها او يمكن أن تتوسل بها الاشتقاق من الزمان والمكان فالزمان ، كالصباح والغداة والمساء والعشاء والضحي والقائلة والليل

فمن الصباح اشتقت العربية اصبح ونحوه ، كما قال الافوه الاودي :

أصبحت من بعد لون واحد
وهو لونان وفي ذلك اعتبار
ومن المساء ، كذلك ، مما نجده في قول ابي تمام :

وما كان الامال من قل ماله
وذخرا لمن أمسى وليس له ذخرا
ومن الغداة كما في قول الفند الزماني :

مشينا مشية الليث
غدا والليث غضبان

ومن الضحي ، قول عمر بن الخطاب : « اضحوا
عباد الله » اي صلوا بالضحى
ومن العشاء ، قول الحطيئة :

متى تآته تعشو الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد
فمعنى تعشو تراها ليلا وتقصدها فيه عشاء .
ومن القائلة ، الحديث « قيلوا فان
الشياطين لا تقيل » .

ومن الليل ، قول ابن حبوس الغاسي :

والكل في علم الامام مقصر
حسب المبرز منهم أن ليلا

وقالوا كذلك : ايل فلان اذا دخل في الليل ، والليل الكروان ، لتفريده ليلا ، ولهذا اسمه بالانجليزية Nightingale ففيها هذا الاشتقاق من الليل كذلك ، كما اشتقت من الصباح Morning واشتقت الاسبانية من الصبح Madrugar فالاول من Morn والثاني من Madruga التي يرادفها Alba وهو اول ضوء للنهار ، كما اشتقت الانجليزية من المساء ايضا Evening فهو مشتق من Eve اي انتصاف النهار ، ونحوه موجود في الاسبانية ، وان كانت قد جنحت به الى معنى ما تؤديه « ظل » في العربية ، وهو تطور في الدلالة ، من القيد الى الاطلاق ، او من التخصيص الى التعميم ، كما حدث في العربية ، للانفعال السابقة ، أصبح وأمسى وأضحى وحتى غدا ايضا ، فصارت من الافعال الناقصة ، وهي في تلك الامثلة السابقة افعال تامة ، والا لما دخلت واو الحال على ما ندعيه خبرا في غيرها ، كما رأينا ، وكما في قول الفند المذكور :

فلما صرح الشر

فأمسى وهو عريان

بل ان « ليس » التي ادعي فيها النقصان دائما،
وردت تامة ، كما في قول النابغة :
إذا ذهب العتاب فليس حب

ويبقى الحب ما بقي العتاب
وهذا مبحث آخر ستناوله عند تناولنا للفة
في تراكيبها ، اما الآن فنحن بصدد مفرداتها

ومن الاستعانة بالزمان ، قولنا الغداء . لظعام
الغداة ، والعشاء لظعام العشاء

ثانيا - المكان ، نقول : أنجد فلان صار في
نجد

واسهل صار في سهل

وأجبل صار في جبل ، قال ابن حبوس الفاسي :

وتفجرت عين النباهة بعدما

قد كان خاطرها اكل وأجبلًا

اي انقطع ، والاصل فيه سعد في الجبال
وأوقل فيها ، فانقطع خبره ، بل الوقل نفسه من
هذا ، فهو الحجارة ، وبذلك يكون من قبيل المكان

وأنهم صار في تهامة

وأيمن صار في اليمن ، وكذلك ، يامن

وعرض صار في المروض ، وهي مكة
والمدينة ، والطريق في عرض الجبل ، قال عبد
يفسوث :

فيا راكبا اما عرضت قبلها

ندامي من نجران الا تلاقيا

وهكذا استفادت العربية من الزمان ، كما
استفادت أيضا من المكان ، فقالت أعرق وبدأ وتمدن
وغار وأبلد وأعمن وأشام وأجنب وأشمل وشرق
وغرب .

فمن نجد ، وغور قول الاعشى :

نبي يبرى ما لا تسرون وذكره

أغار لعمري في البلاد وأنجدا

ومن العراق وتهامة وعمان ونجد أيضا ، قول
المزق العبدي :

فان تهموا أنجد خلافا عليكم

وان تغمنا مستحقي الحرب أعرق

ومن الشام ، قول الشاعر :

سمعت بنا قيل الوشاة فأصبحت

صرمت جبالك في الخليط المشم

ومن البداوة ، الحديث الشريف « من بدا
جفا » أي من سكن البادية اكتسب منها الجفاء

ومن المدينة ، قولهم تمدن فلان ، اذا سكن
المدينة .

ومن البلد ، قولهم أبلد بالمكان اتخذه بلدا

ومن الجنوب ، قولهم اجنب القوم ، اذا دخلوا
في الجنوب
ومن الشمال ، قولهم : أشملوا ، اي دخلوا
الشمال .

ومن الشرق ، قولهم : شرق فلان ، اذا اخذ
في ناحية الشرق .

ومن الغرب ، قولهم : غرب ، اذا اخذ في ناحية
الغرب ، قال الشاعر فيهما :

سارت مغربة وسرت مشرقا

شتان بين مشرق ومغرب

وبهذا نرى العربية قد استفادت من المكان ،
استفادتها من الزمان استفادة واسعة ، وهو ما لا نجده
في غيرها أيضا كذلك فقد نجد في الاسبانية من
الاندلس Andaluzada و Andalucismo
فالكلمة الاولى يراد بها المبالغات الاندلسية ، والثانية
اللهجة كذلك ومن قشطيلية Castilianizar ،
والمراد بها الاسلوب المنسوب لكستيليا بلقن للاجانب
عنها ، فالاشتقاق اذن حصل بعد النسبة لها ولا تكاد
نجد هذا الاشتقاق في غير هاتين الناحيتين ، وطبعًا
لا يتوقع ان يوجد شيء من ذلك في الانجليزية التي
تتحرك في اشتقاقها بمساعدة فعل الكينونة ، ان لم
يكن هناك مصدر تعتمد عليه مباشرة ، وكذلك
الشان في الالمانية والفارسية والتركية .

نعم ، قد سبق ان « Arrive » مأخوذ من
« River » ولكن قواميسهم في Etymology تذكر ان
الانجليز أخذوا هذه من الفرنسية بعد اشتقاق الكلمة
فيها

حقيقة ان الاسبانية اشتقت من الطريق فقالت:
Caminar من Camino ولكن الملاحظ في هذه
الحركة اكثر من الصيرورة فيه ، ولهذا لم تذكره

« الطويلة » باسم طمطم Tomtom وتسمية لعبة « البيكينجوك Ping-pong و Croquet ربما تكون كلمة « التراكاتور » من هذا القبيل . وعلى فرض انها مأخوذة من اللاتينية ، فان هذه قد حاكت الصوت . فيما سمت به قديما ، وقلدت في ذلك حديثا . قل لي طالب اسراييلي ، كان يحضر علي درس الفارسية . اني ادركت تماما معنى كلمة « كرفتن » اي القبض والاستيلاء ، ولا شك ان ذلك كان في خفة وانتشال ، وهذا طبعا يفهمه الاسراييلي اكثر من غيره .

الاساطير ، فنسمي طائرة من الطائرات ، مثلا ، باسم العنقاء ، او آفة هتلة باسم الفول ، وقد فعلت هذا انجلترا فسمت الآلة الرافعة للانتقال العظيمة باسم Bogey ومعناه الفول ، واخيرا وجدنا اميركا تلجئ الى اساطير اليونان ، فتسمي باسم اله الشمس وغيرها Apollo ثم تستعين بالارقام بعد ، فيكون أبولو واحد واثنين الى خمسة عشر ، وهكذا دواليك ، وهي التي سمت طائرتها المدمرة Phantom اي ببعع .

وقد يلعب الخيال ، فيصور الاشياء وهي لا ترى ، بصورة ما ، كدائرة السوء ، او يضي عليها لونا ، كالحمي الصفراء والاسودين للتمر والماء او يجعلها تصيب كنداء المجهول ، وهذا في الواقع من صنيع الشعراء ، واصحاب الخيال الخصب ، ولكنه اذا ما شعر صار يؤدي ما تؤديه الاسماء المعتادة فمن منا يجهد فهمه في ادراك « صوت الضمير » و « دائرة السوء » التي جاءت في القرآن الكريم ، وادركتها الافهام بلا كلفة او مشقة ، كما ادركت « رؤوس الشياطين » وقد جاءت في القرآن ، وادركت « انياب اغوال » في شعر امرئ القيس :

ايقتلني والمشرقي مضاجعي
ومسنونة زرق. كانياب اغوال

وبعد هذا كله فللغة ان تخترع ، وهذا من علامة حيوتها واستجابتها الى كل ما يجد في الحياة ومتطلباتها ، وقد جاء الاسلام بجديد فاحتاجت اللغة الى جديد في اللفظ ، فاخترعت الفاظا قرآنية ، لم يكن العرب يعرفونها ، وخصوصا فيما يتصل بالآخرة من تصوير احوالها وعذابها او نعيم جناتها ، كالسلسيل ، والصعود ، وسقر ، وسجين ،

في هذه الظروف المكانية ، وبعبارة ان الطريق ، كان بعد الطروق ، فهو مأخوذ من الفعل لا الفعل مأخوذ منه ، ومادة الفعل اوسع منه فهو فعيل من الطروق بمعنى مفعول منه .

وبالجملة فالزمان والمكان لهما أهمية خاصة في العربية ، ولذلك الف المرزوقي الاصفهاني من رجال القرن الرابع واول الخامس كتابه القيم « الازمنة والامكنة » وكان استاذنا المستشرق Paul Kraus اذا سال احدنا عن هذا الكتاب ، فاجاب بأنه لا يعرفه ، ينحى عنه بالتجهيل والتقريع . لان مثل هذا الكتاب ، يجب ان يكون كل طالب في العربية على علم به واطلاع عليه .

ومهما يكن ، فاننا زيادة على تلك الوسائل التي ذكرنا ، لنا وسائل اخرى نجعلها فيما يلي :

الالوان ، كتسمية نوع من الحيات ، باسم الاسود ، والتسمية بأحمر نمود ، والاعتماد على اللون ، نجده حديثا في مثل البطاقة الرمادية والبطاقة الخضراء ، المعروفتين لكل سائق سيارة .

الاشكال ، كما هو معروف عند الموقتين ، في نحو نحو « الربيع المجيب » و « الربيع القنطر » وعند اصحاب الهندسة ، كالربعات والمثلثات ونحوهما ، وقد تتعاون الالوان والاشكال والاصوات ، كما حصل هذا في « المربع الاحمر » لاصحاب زيت لوسيسور . وقد ذكر النحاة امثلة لذلك ، في نحو طاق للضرب ، وطق لوقع الحجر ، وغب لوقع السيف ، وساق حر ، لطائر ، قال الشاعر :

وما هاج هذا الشوق الاحمامة
دعت ساق حر ترحة وترنما

وقد وقف فقهاء اللغة عند هذه الكلمة وقفة طويلة ، يمللون اشتقاقها .

اما النحاة ، فمقدوا لهذا باب حكاية الاصوات ، كما ان اللغويين القدامى والمحدثين ، والفلاسفة في القديم ايضا ، استرعى نظرهم ذلك ، فكان منهم من ادعى ان الالفاظ اللغوية كلها ، انما نشأت حكاية للاصوات ، وهذا لا يعيننا ، ان كان صحيحا ام لا ، بقدر ما نستفيد منه ، وهو كائن في اللغة ، ويمكن الاستفادة منه ، وقد رأينا في اللغات الحية ، شيئا من هذا ، كما في تسمية

وطوبى ، وغساق ، وغير هذه ، وان ادعى كونها
معربات .

وهذا ليس بدعا في اللغات عامة ، وعندنا كلمة
Gaz تعيش في كل مكان . ولا يعرف لها اصل البتة .

واذكر ان احدهم صنع شيئا ، فدخل عليه طفل
سأله عن اسم المصنوع . فسأله هذا الصانع : كيف
تسميه ؟ قال له . كذا ، فسماه بذلك . ولم يكن
لذلك الاسم اصل من اللغة ، وقد وضع احدهم
رسوما متكررة . على شكل زوايا حادة متسلسلة ،
ودعاها « كيكريكو » ورسم الى جانبه رسما آخر ،
عبارة عن سلسلة من انصاف دوائر ودعاها « امبو »
ولكنه وضع الاسمين ، ودعا تلاميذ من مختلف
الجنسيات واللغات وسألهم : اي الرسميين
« كيكريكو » فكلهم اجاب بأنه صاحب الزوايا الحادة
ولا شك انهم يدركون العلاقة بين تتره مك التركية
والاضطراب و trouble والواقع ان الرسم له
صلة بما يعرف عند الرسامين ، باسم « كروكي » .
واعرف سيدة اخترعت كلمة « زوطوطو » فسارت
الكلمة في الوسط العائلي ومن الكلمات المخترعة
كلمة « روكوكو » Rococo وهو من اسماء
الزخارف ، وكلمة « كوداك » Kodak .

ولا شك ان هذه الكلمات ، سيزداد عليها ، ولن
تقف مكتوفة ، بل سيشتق منها فيما بعد ، شأنها
شان باقي الكلمات في العربية . سأل الضيف صاحب
المنزل عن طعام ، قد أتى عليه ، فأغاظ صاحب المنزل
الاب الفقير ، ما اسم هذا الطعام ؟ فأجابه بفيض :
« الكجدور » فقال له : « على ش ما كجدرتوشي منو
بزاف ؟ » وهكذا اشتق من الكلمة الغربية عليه ، بمجرد
فهم مدلولها ، كما اعتقد ، وهي طبيعة العربية الام
الولود ، التي تمكن اولادها من حرية التصرف ،
فيشتقون من « الاستيك » ، فعل « استك » وغيره ،
كما يشتقون من da le المركبة في الاسبانية من
فعل أمر من صدر dar اي الاعطاء ، والمفعول
فكان التعبير dale اي اعطه ، ولكننا قلنا دالا
عليه ويدالي الى غير ذلك من كل ما يدخل الى
العربية من كلمات لها اصولها او مخترعة لا اصول
لها ، كما تقدمت امثلة له .

وبعدما تعرضنا للتعريب في مفهومه القديم
والحديث والوسائل التي تمكننا من سد الحاجة التي
نشعر بها حيال هذا العصر واختراعاته المتلاحقة ،
وما تتطلبه حضاراته المختلفة .

نلقي النظرة الاخيرة على ميدان التعريب ،
يكون بهذا تلخيص ما تقدم وتبسط بعض الجوانب
منه ، بأمثلة منها ما يعايشنا ويسايرنا في ثقافتنا
اليومية ، ونحن في مضمار الحياة ومعترك
الاحداث .

ولا شك ان اماننا مشاكل متنوعة في هذا
المضمار وذلك المعترك . فهناك العامية ، التي يجب
ان نأخذ بيدها ونسومو بها الى مستوى راق . بدل ان
ننزل اليها من هذا المستوى الراقي ، وهناك الفن
ومذاهبه ، كما قيل ، فهو يصور الحياة في لوحاته
الزاهية والشاحبة والقائمة ، برسومه وموسيقاه ،
التي أصبحت تتطور مع الايام بأدواتها واصداحها ،
اني جئت ذلك الرسم الذي لا يقتصر على المشاهد ،
بل اصبح يجاذب الكتابة ويرقى الى الرموز ، التي قد
تعجز عنها الكتابة نفسها ، فهو يسبح في عوالم خارقة
تلعادات وهو يخاطب او يحاول ان يخاطب وجدانات ،
بلفات لا تقوى عليها الكتابات والاصوات ، فهو حر
طليق لا يعترف حتى بسلطان النفسيات والمسجلات
للخبرات الرتبية ، في سهولة تتراد منه او اسلاس
ينقاد به ، انها الثورة التي يريدها الخيال الجامح
في اعلانها المكسرة لاصنامها . وهناك النحت ، لا يقل
في غاياته عن غايات الرسم ، وان كان طريقه وعرا ،
تكتفه الصخور عليه ان ينحت منها ، والاحوال عليه
ان يفوض فيها فهو على رعونته ، اصبح لا يقل عما
عليه الرسم في اطيافه واحلامه ، ووداعته وثوراته .

وهناك الكلام ، وهما كما يقول الشاعر :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما

جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والفؤاد هذا قلب قلب ، يقبله من هو كل يوم
في شأن ، فعلى اللغة ان تسجل خطراته ، وان تضبط
دقاته ، وهي كما قال شوقي :

دقات قلب المرء قائلة له

ان الحياة دقائق وثوان

نعم ، انها دقائق وثوان ، ولكن هذه الدقائق
والثواني ، ما اعظم متطلباتها ، وما اشد ما يتحمل
الانسان من اماناتها ، وقد آبت السماوات والارض
والجبال ان يحملن هذه الامانات ، كما قال تعالى
« انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه

ويطبق على ذلك قواعد ما يشبه عنمه . كما عليه ان
يخترع اسما جديدا لهذا العلم ، والكيمائي عليه ان
يحلل عناصر ما في هذا الكون او الاكوان ، ويسمى
تلك العناصر بما يخترع لها من اسماء ، لان المدلولات
قد تكون غريبة عن هذا الكون ، وليس لهؤلاء ان
يقولوا العرائس تلك الافلاك :

صوني جمالك عنا اننا بشر
من التراب وهذا الجسم روحي
او فابتغي فلكا تأوينه ملكا
لم يتخذ شركا في العالم الفاني

لان هذه العرائس تأوي فعلا هذه الافلاك فلم
تتخذ لها شركا في عالم غير عوالمها ، ولكن الانسان
هتك استارها وكشف خدورها فتجنت مفاتنها
للابصار ، وانهرت لاسرارها البصائر ، فلا اقل للغة
من الوصف ولا مناص لها من الكشف ، بكل دقة وكل
تبيان .

ان هذا الاكتشاف الذي ستلوه اكتشافات ،
قد تطب آلاف الآلات والادوات ، فعلى اللغة ان
تسمي كل ذلك بدقة وتفهمه للفهام وليس بقادر على
هذا الا اهل العلم انفسهم ، وقد وضعت اللغة امامهم
وبين ايديهم ما تملك من ادوات التعبير ، ووسائله
كالاشتقاق من الحقيقة والمجاز والالتشبيه وحكاية
الاصوات والنحت والتخصيص والتعميم وكالاستعارة
من اللغات بعضها من بعض وكالاشتقاق للكلمات
وخلقها من العدم ، اذا لم نجد في هذا الوجود ما
نستفيد من لونه او شكله او رائحته او حركته او ما
الى ذلك او مما يسعنا بمماثلة ما ولو في الوهم او
الخيال الذي يساورنا او يخلف لنا من اساطيره
وخرافاته .

لقد سمي آباؤنا سائل الكلونيا، باسم «مسيكو»
فاسمفتهم الرائحة ، واخترع « شيكبير » اسم
« دولار » قبل ان يكون دولار وسمى آباؤنا ايضا
الدراجة ، باسم « عود الريح » معتمدين على
السرعة في الحركة ، وكان هذا تلقائيا منهم ووفقوا
كل التوفيق (وفي الفارسية « دوجرخه » اي
فلكتان) اذن فالعزم اولا هو ما نتذرع به ، في
مواجهة التعريب ، وفي القديم واجه القوم ، فما
وهتوا ولا ضعفوا ، وحلوا مشاكلهم في تدوين
الدواوين ، ونقل العلوم المختلفة والاداب المتباينة
والعقائد المتضاربة الى لغة الضاد ، ولم يكن اولئك
اقدر منا في العربية ولا افهم منا لتلك العلوم

كن ظوما جهولا « هو ظلوم عليه ان ينصف نفسه
وينصف اناس . وهو جهول عليه ان يعلم ويتعلم ما
ينبي رغبات الافئدة في هوائها . والعقول في مناطها ،
والاجسام في علها واسقامها ، وصحتها وملاذها .
من المشاهد والاذواق والشاعر والاسماع .

فهذا فن الكلام في آدابه ، التي تتولد وتتفاعل
في الوانها وامشاجها ومعطياتها ومقاصدها ، وجميعها
في تطور مطرد وفي انفصال هلامي مستمر . وفي
استقلال ببيء اصحابها واطانها ومجتمعاتها وافكارها
وثقافتها ، بعد اللغات ، وقد اصبحت تعد بالالاف . .
واسبح على الانسان ان يفهم كل شيء ، وقد واجه في
حياته كل شيء ، فخيمت عليه الظلال من كل مكان ،
ووجهت عليه الانوار والنيان ، فعلى هذه اللغة ان
تسمد بكل شجاعة ، وعليها ان تقوم برسالتها ، بكل
عزم وقوة ، فتمثل دورها في جميع المحافل خير تمثيل
ان كانت على قيد الحياة .

ومن وراء هذا كله الفلسفة التي اصبحت من
هذا الجيل مطالبة بالجديد ، والا فليها ان تنزوي
من مسرح الحياة الجديد في جميع فروعها ، حتى
« الميتافيزيقا » نفسها ، فمهماتها صعبة في هذا
العالم الصعب المعقد ، الذي لا يرحم احدا ولا يحجم
عن الاخذ بتلابيب العلماء العظام والفلاسفة الكبار ،
فعلهم ان يفهموا ويسطوا وعليهم ان يقنعوا العقول
وهي في زيفاتها وصراعها للايكترونية العملاق .

وهذا العلم لم يبق بالرتابة او القداسة التي
كان عليها ، فهو يطارد مطاردة لا هوادة فيها ، منذ
بداية هذا القرن ، واشتدت المطاردة اثناء الحرب
الاخيرة ، وازدادت اشتدادا بعدها ، وصارت
الدنيا تמיד بها ، واذا بالافلاك والنيان تناجي
الانسان فيطالب العالم بان يحمله الى هذه الكواكب
والافلاك ، فلا يجد المسكين مناصا من ان يستجيب
لمطالب الانسان الجبار ، فيبني له المراكب الفضائية
ويزوده فيها بما يضمن له السلامة ولا يحرمه مع هذا
من الاتصال بالعالم الارضي لحظة ، ويتكفل بالعودة
به اليه بعد ان يحط رحاله بتلك الكواكب ويطوف
في ارجائها ويحمل من متاعها ويستعمر من بقاعها ،
فلا يلبث بعد عودته ان يطالب العلم بدراسة هذه
العوالم العليا .

فالجغرافي عليه ان يخترع ما يشبه علمه لهذه
الكواكب ، بل عليه ان يخترع اسما خاصا لهذا العلم ،
والجيولوجي عليه ان يدرس طبقات هذه الكواكب ،

والادب وغيرها ، بل كانوا دوننا في ذلك ولا شك ، الا انهم كانوا يتوفرون على شيء لا تتوفر عليه ، وهو الشعور بالهزة والكرامة وانهم سادة يجب ان يخضعوا لهم ، لا ان يخضعوا لغيرهم ، وبذلك اخضعوا لغتهم ، في يسر ، كل ما وصلوا اليه او اتصل بهم .

هذا هو موقفنا الذي يجب ان نتفقه ازاء هذا التعريب ، وهو موقف ، لا محالة . يدعو الى التخصص . بعد تلك العزيمة ، والى النهل من العربية والتعمق فيها . حتى يمكن كل عالم او صانع او مفن او متفلسف ، ان يتولى ما يراوله او يعانیه بالتعريب .

وعليه ، فالطبيب يتولى تعريب ما يتصل بطبه . والمهندس يتولى ما يتصل بهندسته ، والمتفلسف والفن ، كل لما يتصل بهوايته والصانع كذلك يعرب ما يتصل بصناعته ، وقد مكناه من ذلك بالتعليم ، الذي يسير في ركبته هذا التعريب .

ولا نهمل مع هذا استشارة الشعب ، بل نعود الى قاموسه الحي ، الذي يمدنا بنحو « عود الريح » و « ميكو » و « والصدفة » و « الكسكاس » و « غويلة » و « ترابية » ، وغير هذه من الكلمات التي تخضع للعربية وقوانينها ، كما نتلقى منهم من غير مشقة ما عربوه هم مثل يكمي ، من Quemar الاسبانية والكرو من Cigarro الاسبانية ايضا الا اننا نخضع الكلمة لقانون العربية ، فلا نتركها لمتنها هذا ، وفي آخرها واو قباها ضمة لازمة ، بل تختم بهاء مثلا ، كما فعلنا في ينيه ويلييه وسيبويه ، وسميت الصورة السالبة باسم « عقرية » في عامية الشرق ، فلنا ان نستعير حتى من العامية .

كما نستعين برصيدنا في الخارج فالاسبانية اخذت كلمة « كحال » Oculista لطبيب العيون وعنها اخذتها باقي اللغات الاوربية كما اخذتها مباشرة الفارسية والتركية . فلماذا لا نستعملها نحن العرب فنجاري اللغات الحية التي استعارت منا ولنا الفضل عليهم ؟ ربما نائف من هذا ، فلم لم يائف غيرنا ان يسموا طبيب الاسنان بالسنني Dentiste كما في اللغات الاوربية والتركية ؟ وعلينا ان نجاري غيرنا في ذلك ، وقد استعملت هذه التسمية « دنيلية » في الاندلس وان كانت في الاحتفال يبدو الاسنان ، وادعى بعضهم ان لها اصلا في الفصحى ، وتوقف الزبيدي هنا .

والفارسية ثم التركية سمت الهيدروجين « مولد الماء » كما تقدم ، واستعملت التركية « تهلكة » بدل « خطر » ، والاسبانية « انبوب » Embubo بدل قمع . وهكذا نجد الفاظا نستفيد من وجودها في الخارج او نخترها منه .

وهذا عمل يحتاج الى تعبئة عامة ، وكفاح يشارك فيه الجميع : الحكومة بتدخلها في تعريب انلافتات والتذاكر واللوائح والصحافة باختيار الكتب والمثقفين حقا والمتخصصين في العربية تخصصا عميقا . فلا تترك الصحافة في ايدي من لا يحسن لغتها من المتطفلين عليها ، والتمثيل المسرحي كذلك له رسالة في هذا التعريب ، فعليه ان يختار الموضوعات التي يستسيغها الشعب حتى يقبل عليها في لغتها ، فتعمل فيه بطريق الإيحاء ، وكذلك التمثيل الخيالي ومسرحه في الواقع أقسح من غيره ، والأغاني العربية وحتى الشعبية تخدم كذلك التعريب ، اذا احسنا استعمالها واخترنا اصواتها الجميلة والحنان السجية واعدناها بالموسيقى العذبة المؤثرة والاذاعة والتلفزة من اقوى دعائم هذه التعريب ، فهي الصوت الذي يصحنا ويمسنا والمشاهد التي تحيينا وتسامرنا وتناجينا .

اما المدرسة والكتاب ففني امرهما عن البيان ، ولا بد من الاستمرار والتذكير ، فقد كنت كتبت في كون العمالة بالكسر ، فكان لهذا صدها في اذاعة تطوان وفاس ولكن التذكير بهذا انقطع فعاد الناس الى العمالة بالفتح وعدت انا معهم الى هذا الضلال على علم به مني .

واخيرا ، لقد تركنا المفردات وما يمكن ان يستفيد منه التعريب في حركته الدائبة بنشاط هذه الاحياء البشرية وبقي علينا ان نوجه العناية الى المفردات في تركيبها ، او تعريب الاساليب ، ان صح هذا التعريب .

وموقفنا هاهنا لن يطول ، لانه لن يكون معربا بحق وحقيقة ، فالعربية قد انتهت الى تراكيبها ، وليس في الامكان ابداع مما كان في بنيتها ، وارتفعت الاقلام عن تسطيرها وجفت الصحف بما فيها .

الا ان هناك ، جوانب لا تمت الى الخلق والابداع من جديد ، بل هي في الواقع محافظة على ذلك الكيان اللغوي الذي هو بالنسبة اليها القلعة المتينة والحصن الحصين ، الذي يجب الدفاع عنه الى آخر قطرة من دمائه هذه اللغة الابية المستمينة الصامدة .

ان العربية كما قلنا ، كريمة كأصحابها مضياف
تكرم نزلاءها ، فوجود مائات او آلاف من الكلمات
الدخيلة فيها لا يهدد حوزتها ، بل بالعكس يزيد
قوة ويكسبها منعة ، في مواجهات كل الطواريء .

ولكن العبث بالنظام المتبع فيها ، واحداث
الفوضى في مجتمعها ، هو الذي لا يقبله بحال . وهو
الذي يجب الا تقبله ، كما لا يقبله اي عرف من
اعراف اللغات قاطبة ، وهي لغات لها كرامتها ونها
وجودها الازلي والخالد خلود الدهر .

ونعود فنقول ، اننا لن نزيل في هذا التعريب
التركيبى . وسنقف وقفة قصيرة : عند بعض
الاعراض ولا نقول الامراض التي طرات على هذه
العربية في عصرنا المريض برجاله ومثله العليا .

فاول تلك الاعراض ، بل اول تلك الامراض ،
مع العذرة ، مرض حل بمستقبل هذه اللغة ، نعم ،
حل بمستقبلها مع الاسف ، ولكنه حل بمستقبلها
السايي ، لا الايجابي ، احسن الحظ ، والله الحمد
على كل حال .

من العلوم ، ان الافعال في اللغات ، هي مفاتيح
تلك اللغات ، بل هي حياتها التي بها يكون حيوانها ،
والحيوان في الواقع ، ما هو الا الحركة الجياشة ،
كالفيضان والغليان والثوران والجيشان نفسه ، وبهذا
الاعتبار ، قال تعالى : « وان الدار الآخرة لهي
الحيوان لو كانوا يعلمون » وبذلك تكون هذه الكلمة
في مدلولها الآن قد انحرفت عما خلقت لاجله .

وهذا لا يهمنا الآن ، فقد انتهينا من المفردات ،
كما قلنا وعلينا ان نعالج مستقبل هذه اللغة في افعالها
السلبية ، وهي التي تحتاج الى علاج ناجع وسريع .

نقول سوف نفعل ، كما نقول سنفعل ، وهذا
الاخير مختزل من الاول ، وكان قد عمل فيه هذا
الاختزال ، فقول سوف افعل ، وسف افعل ، وأخيرا
سافعل ، فوقع الاختصار على حرف السين
وحده ، واهمل الاختصار عليه مع الواو او الفاء ،
وحافظ على الام الرووم « سوف افعل » وهذا
جميل في هذه العربية التي تتجدد وتتطور ، ولكنها
لا تتنكر للماضي ، ولا تعق الامومة والابوة .

هذا هو الفعل المستقبل الموجب في العربية ،
سلمه الله من كل بلاء ، ودرا عنه كل اداء ، فبقي
كيوم ولدته امه على فراش الصون والعفاف

ولكن المستقبل المنفي وقع فيه من المصائب ما
لا عين رأت ولا اذن سمعت بمثله في غير هذه اللغة
الشريفة نسمع دائما ونقرأ دائما ، وخصوصا في
صحافتنا المسكينة هذا التعبير :

« سوف لا يأتي فلان » ونسمع ونقرأ في
صحافتنا المنكوبة ، ما هو افظع من هذا وادهى ...
نسمع ونقرأ :

« سوف لن يأتي فلان » ، ، فض الله فم من
كان اول الناطقين ، بتلك العبارة المسوخة ، وهذه
العبارة الملعونة من السماء ، لان الله ما انزل بها
من سلطان ، ولان كتابه الكريم قال : « لن تراني ولكن
انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني »
فعلمنا كيف نعبر بالمستقبل المنفي « لن تراني » وقابل
به المستقبل المثبت « فسوف تراني » .

اذن فاداة الاستقبال في الفعل العربي المنفي ،
هي الاداة « لن » فنقول « لن يسافر فلان » في
المستقبل من الزمان ، ولا نقول « سوف لا يسافر » ،
ومن المخجل ان تستعمل هذه العبارة ، في التمثيلية
التي جابت من مصر فعرضت في تلفزتنا بمناسبة
المولد الشريف ، وهي تحكي حوارا كان على عهد
الرسول ، عليه الصلاة والسلام .

وافظع من هذه العبارة ، هو « سوف لن
يسافر » ، فتلك جهالة جهلاء ، وعدم اكتراث باللغة ،
التي ظن اصحابها اليوم ، كأنهم قيل لهم فيها :
« تكلموا كيف شئتم » ، وصدق الشاعر :

رايت الحلم دل علي قومي

وقد يستجهل الرجل الحليم

ان مثل هذا التعبير انما هو استعمار انجليزي
تعدى الى اللغة بعد ان اعتدى على اصحابها ، وما
ابغضه من استعمار ، تخلص منه الناس ، ولم يتخلصوا
من ادوائه العديدة ، التي منها هذا الداء الوبييل ، فقد
تلقي احد الكتاب الطفيليين ، وما اكثرهم واسمجهم ،
مثل هذ التعبير الانجليزي I shall not come
فقد عليه عربيته المعذبة ، في قبضته الاثيمة ، فقال :
« انا سوف لا آتي » او « سوف لن آتي » ولو آمن
جدا في التعبير الذي سحره ، لقال : « انا سوف لا
آتيان » هكذا ، وهو تركيب لا يوجد الا في
الانجليزية والالمانية بهذا النسج وهذا الترتيب ، ولا
نعرف له مثيلا في لغة اخرى غيرهما ، وهكذا نجد

العبارة المذكورة . تكون في الالمانية

ich werde nicht kommen

سواء بسواء ، فتجعل اداة النفي تالية لاداة الاستقبال ، كما في الانجليزية وفي تعبيرنا هذا المسوخ « سوف لا » او « سوف لن » كما تقدم ، بينما الفارسية تدخل اداة النفي على اداة الاستقبال ، ولا تجعلها تالية لها ، فتقول في نفس الجملة « من نخواهم آمد » فالنون نفي وتخالف هذه جميعا التركية ، التي تأتي بالمصدر المرخم وتلحق به اداة النفي ، ثم تأتي اداة الاستقبال فتقول « بن كله ميه جفم » ويقتى بعد هذا اللغات المتفرعة من اللاتينية ، كالاسبانية ، فانها تأتي بأداة النفي ثم المصدر المرخم ثم اداة الاستقبال Yo no vendre

وبلاحظ ان هذه اللغات - ما عدا الانجليزية - تصل ضمائر الفواعل او علاماتها ، بأداة الاستقبال ، وانها جميعا تستعين بالمصادر ، في صوغ فعل الاستقبال ، الا ان الانجليزية وليس لها مصدر غير مؤول ، تحذف الحرف الموصولي ، والالمانية تأتي بالمصدر كما هو ، بينما الفارسية والتركية والاسبانية ترخم هذا المصدر عموما .

ثم انها تتحد في كونها لها اداة تدخل عليها او تلحق بها اداة النفي ، وهي واحدة الا في الانجليزية ، فتختلف بحسب التكلم وغيره ، فهي للتكلم كما رأينا shall ولغيره will وقد يتبادلان قصد التاكيد كما يقول شيلي Our breath shall intermix وربما استعمل هذا الفعل في معناه الاصلي ، اذ لا مهمة له في الاستقبال « We shall become the same. We shall be one spirit »

وكذلك العربية لها اداتان ، واحدة في الاثبات ، وهي « سوف » او ما اختزل منها ، وواحدة في النفي وهي « لن » لا غيرها .

ولعل « سوف » كانت ظرف زمان في اصلها ، بنيت على الفتح للازمتها الظرفية ، وان كان المستشرق Bergstraesse يرى انها مستعارة من الآرامية Saupa ومعنى هذه « النهاية » او « الغاية » ، فكان معنى « سوف افعل » اني افعل في النهاية والغاية .

يقول علماء اللسان ، ان اللغات السامية - ما عدا الاكادية منها - ليس لها الا زمانان ، ماضي قديم انتهى ، وغيره لم ينته ويشمل الامر والحال والاستقبال .

فكون العربية استعانت بسوف ظرف زمان ، او saupa الآرامية على تعيين مستقبلها ، هذا شيء ليس بغريب في اللغات فالانجليزية ، في غير التكلم خاصة ، والفارسية عموما ، استعانت بفعل الارادة ، الذي ما زال بهما يستقل بنفسه احيانا ، فكان الاصل في « سيفعل » مثلا هكذا « يريد الفعل » وفي التكلم استعانت الانجليزية ، بكون الفعل ملزما ، فكان الاصل « سأفعل » هكذا « يلزمني الفعل » فهو الفاعل على الحقيقة ، وفي الالمانية استعين بفعل اصبح ، فكان الاصل في التعبير السابق هكذا « انا لا اصبح اتيانا » ويستعمل كذلك مستقلا وهذه الاستعانة نجدها في نحو «غادي» او «ماشي» او «خصني» او «نحب» التي تستعمل بالعامية كما يستعمل الرواح والود بالشرق

وليس لنا اداة لا تؤدي الا هذا الاستقبال المجرد ، سوى الاداة التركية والاداة الاسبانية الآتية من اللاتينية في غير العامية هذه مقارنات في سوف مثبتة في العربية ، ومطلقة في غيرها .

وبقيت « لن » فما اصلها ؟

اختلف فيها ، فمنهم من يراها خلقت كذلك ، ومنهم من يرى ان النون ، حلت محل الالف من « لا » للتاكيد ، ومنهم من يرى ان اصلها « لان » فكان الاصل في « فلان لن يفعل » فلان لا ان يفعل ، فهي تفهم كون فعل لن يقع في الاستقبال .

ومهما يكن فجميع هذه اللغات - ما عدا التركية - استعملت النون للنفي هنا ، اما التركية فالميم وهي أخت النون التي طفت عليها تماما بالفارسية .. والنتيجة ان الفعل المستقبل في العربية ، اذا نفي يكون بلن وحدها ، كما قال الشاعر :

هي الشمس مطلعها في السما

فمز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصمودا

وان تستطيع اليك النزولا

ومن قبل بثلاث وعشرين سنة كتبت في اداة الاستقبال ، فاهتمت بذلك مجلة الروس البيض بتونس وأبدته في مجلتها « Ibla »

الفصحى لغة القرآن

لغة فكر عالمي لنمو سبعمائة مليون مسلم جغرافيا ويمتد اربعة عشر قرنا في التاريخ والتراث

الأستاذ أنور الجندي (القاهرة)

ان طرح القضية على هذا النحو يمكن ان يكون صحيحا في اي بلد من بلاد العالم وفي مواجهة اي لغة ولكنه يصبح عسيرا جدا حين يطرح بالنسبة للغة العربية . ولو لم ترتبط اللغة العربية بالقرآن والاسلام لكان يمكن ان يكون هذا الكلام مقبولا .

اما وقد انزل القرآن منذ اربعة عشر قرنا باللغة العربية فانشأ عالم الاسلام الفكري والاجتماعي والديني فقد اصبح للغة العربية وضع مختلف لا شبيه له في اي لغة اخرى . ولم يعد للعرب وحدهم حق التصرف في اللغة العربية . ولم تعد اللغة العربية لغة اقليمية تخص قطرا ، بل لم تعد الامة العربية نفسها مطلقة الارادة في التصرف بها .

هذه هي الحقيقة التي واجه بها المفكرون المسلمون منذ أكثر من ثمانين عاما تلك المحاولة التي قام بها ولكوكس في مصر وماسينون في الشام وكولان في المغرب ، ثم تابعهم بعد ذلك سلامه موسى والخوري مارون غصن وكثيرون .

ان اخطر ما تمثل اللغة العربية هو ان قارئها اليوم في العقد الثامن من القرن العشرين يستطيع ان يقرأ ويفهم ما كتب بها منذ القرن الخامس الميلادي (أي ما كتب قبل نزول الاسلام بأكثر من نصف قرن) .

ان التاريخ ليذكر ذلك الجهاد المتصل السذي حمل لواءه رجال أمثال : مصطفى صادق الرافعي ، ومحب الدين الخطيب ، وأحمد زكي ناشا الملقب بشيخ العروبة ، وعبد العزيز جاويش ، وعلي يوسف ، والدكتور محمد محمد حسين ، وأحمد الحوفسي ، وغيرهم في سبيل مقاومة الهجوم على اللغة العربية وانتقاصها ، والحملة عليها طوال تاريخ طويل يمتد الآن أكثر من خمسين عاما من خلال حملات المستشرقين والمبشرين ، ومن خلال مقررات حملها وزراء في عهد الحماية البريطانية ودعوات في الصحف وبعض الجامعات من أجل تجزئة مفهوم اللغة العربية الاصيل المتكامل ، ومحاولة لتصوير اللغة العربية على انها لغة « أمة » ومن حق هذه الامة التصرف فيها .

تلك هي القضية : لقد حاول الاستعمار والتفريب ان يطرح شبهة جزئية وجرت الاقلام في سبيل دعمها واقناع الناس بها ، ان اللغة العربية لغة أمة هي الامة العربية وان كل قطر من شأنه ان يكتب لغة ، وان هذا الامر يستدعي كل بلد ان يتناول هذه اللغة على النحو الذي يرضاه ويراها محققا هذه الغاية .

وكان هذا الاتجاه في طرح القضية يحمل طابعا خطيرا من التمويه والتزييف والتجاوز .

أي ان ترانا حافلا قام في خلال هذه الفترة كلها - واعظمه ما جاء بعد الاسلام بالطبع - هذا التراث هو ملك حر لقراء اللغة العربية يلمون به العاما صحيحا دون أن يكونوا في حاجة الى مراجع أو معاجم ويفهمونه فهما صحيحا . وهذا ما لم يتيسر بالتقطع لاي لغة في العالم كله اليوم ، وذلك أن أي لغة قائمة الآن بخلاف اللغة العربية لا يستطيع قراؤها أن يفهموا من تراثها الا ما لا يجاوز الثلاثة قرون ، اما ما يبعد عن ذلك فانهم يلتمسون لفهمه المعاجم . ان مرد ذلك ثبات اللغة العربية الذي لم يتح لأي لغة أخرى ، ومرجع هذا الثبات الى نزول القرآن بها وارتباطها به على النحو الذي انشأ هذه الثروة الضخمة من العلم والتراث والتأليف .

ومن هنا أصبح للغة العربية خاصية متميزة لا تستطيع اللغات الأخرى ان تشاركها فيها ولا تستطيع هي ان تجاوزها : تلك هي انها لغة أمة ولغة فكر ودين . فهي لغة الأمة العربية التي يبلغ تعدادها أكثر من مائة مليون يتكلمون بها وبها يتعاملون ، وهي في الوقت نفسه لغة المسلمين جميعا : لغة فكرهم ودينهم وصلاتهم ولغة ذلك الرباط الذي يجمعهم بالتشريع والمعقيدة جميعا وهو القرآن الكريم .

ومن هنا كان الخطر الوحيد الذي يواجه أهل اللغة العربية هو أن يسقطوا عن مستأى أسلوب القرآن ، ليصبح أسلوبهم قاصرا عن فهمه وتعمقه ، لأن ذلك من شأنه أن يفصل بينهم وبينه ، وذلك مما تحاوله القوى الهدامة المعادية للعرب والاسلام ، والتي تدعوهم الى ما يسمى باللغات الوسطى أو تقرييب الفصحى من العامية .

وامانا القرآن وهو المقياس الثابت وعلينا في كل حركة من حركات العمل أن نتقرب منه ونلتقي به ، فعلى العامية أن تقترب من الفصحى وليس على الفصحى أن تنزل الى العامية .

والتعليم كفيل اذا اتسعت آفاقه ان يقلل من الحاجة الى العامية وان يقرب الاتصال بالفصحى .

والذوق العربي كله متصل بالفصاحة ، وفهم الفكر الاسلامي والثقافة العربية متصل بهذا المستوى من الاسلوب والبيان .

لقد كان لارتباط اللغة العربية بالقرآن الذي نزل بها آثاره البعيدة المدى ، فلقد اتصلت اللغة العربية التي كانت تعيش على حدود الجزيرة العربية الى آفاق

العالم كله وحملت معها ثقافة القرآن ، وحصيلة العلوم ، ونظريات السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وحملت معها المنهج العلمي التجريبي . فالقرآن هو الذي اعطاها هذه المكانة وفتح امامها هذه الافاق ، فهي بوصفها لغة الاسلام قد حملت رسالة ضخمة الى العالم كله والى البشرية : هي رسالة التوحيد .

ولقد وهب القرآن اللغة العربية حصيلة ضخمة من المعطيات الفكرية والاجتماعية من خلال رسالته العالمية التي اتخذت من الفاظ اللغة العربية المتناثرة تشكيلا جديدا طرح على البشرية منهاجا شاملا من الحياة والفكر والنظر في الكون وبسواء المجتمعات والأخلاق .

وكان هذا هو مصدر دهنه الناس عند نزول القرآن ، فقد كانت هذه الالفاظ معروفة لهم بأعيانها ، ولكن الاعجاز كان متمثلا في هذا التشكيل الذي تشكلت به فكرا وأداء ، في هذه القيم الجديدة التي قدمها ، وهذه الصور المتعددة ، وهذه الروعة في أسلوب الاقناع والحوار ، وهذه المناهج المتعددة في مخاطبة القلب والعقل .

ومعنى هذا أن ثروة اللغة العربية انما ترجع في تشكلها القرآني الذي اعطاها هذه القوة ، وفي نفس الوقت اعطاها الاسلام هذا الاتساع والذيع .

ومن هنا قد أصبحت صلة اللغة العربية بالقرآن والاسلام صلة عضوية تمثل التجربة الاولى والأخيرة من نوعها في صلة رسالة السماء بلغة من اللغات ، ولا ريب أن هذا المفهوم له اثره البعيد في امتلاك المسلمين جميعا لهذه اللغة ، وما يتصل بهذا من خطأ القول بأن لقطر ما أو شعب ما ، القدرة على التصرف في اللغة العربية .

ومن الحق أن يقال ان اللغة العربية هي لغة فكر عالمي يضم سبعمائة مليون من المسلمين جغرافيا ويمتد أربعة عشر قرنا في التاريخ والتراث .

(2)

هذه الحقائق كانت واضحة في اذهان اولئك المنافحين عن اللغة العربية في كل عصر : نراه واضحا في عبارات مصطفى صادق الرافعي قبل خمسين عاما حين يعرض للقول بأن العربية لغة أمة ام لغة فكر :

« ان في العربية سرا خالدا هو هذا الكتاب المبين (القرآن) الذي يجب ان يؤدي على وجهه العربي الصحيح ، وبحكم منطقا واعرابا بحيث يكون الإخلال بمخرج الحرف الواحد منه كالزيج بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مؤادها وبحيث يستوي فيه اللحن الخفي واللحن الظاهر ، ثم هذا المعنى الاسلامي (الدين) المبني على الغنبة والمفقود على انقاض الامم ، والقيم على الفطره الانسانية حيث توزعت وأيسن استقرت ، فالامر أكبر من أن يؤثر فيه سورة حمق أو تأخذ منه كلمة جهل . »

(4)

وليس ادل على قوة اللغة العربية من عبارة ارنتست رينان ، في كتابه تاريخ اللغات السامية :

« ان من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذي بدء ، فبدأت فجأة في غاية الكمال ، سلسلة اي سلاسة ، غنية اي غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا أي تعديل مهم . فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لأول امرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يرجعوا سؤاوتهم بالعربية ليفهمها النصارى . »

من أغرب المدهشات ان تثبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحاري عند امة من الرحل ، تلك اللغة التي فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها .

وكانت هذه اللغة مجهولة عند الامم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال الى درجة انها لم تتغير اي تغيير يذكر ، حتى انه لم يعرف لها في كل اطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ، ولا تكاد نعلم من شأنها ولا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تباري ولا نعلم شيئا عن هذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج وبقية حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة . »

ومن عجب ان يكون هذا رأي اهل العرب فيها ثم يقوم من ابنائها من ينتقص من قدرها ويلبسوا الى العاميات ويحاول ان ينتزعها من مكانتها العالية .

« اما القرآن جنسية لغوية تجمع اطراف النسبة الى العربية فلا يزال اهله مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة او حكما ، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس وردهم اليها وأوجبها عليهم لما اضطرد التاريخ الاسلامي ولا تراخت به الأيام الى ما شاء الله ولما تماسكت اجزاء هذه الامة ولا استقلت بها الوحدة الاسلامية ثم تلاحمت اسباب كثيرة بالمسلمين ونضب بانهم ولم يبق الا ان تستلحقهم الشعوب وتستلحقهم الامم على وجه من الجنسية الطبيعية لا السياسية فلا يتبين من آثارهم بعد ذلك الا ما يثبت عن طريق الماء اذا انساب الجدول في المحيط » (1)

(3)

ويرد الكثيرون على شبهة المقارنة بين اللغة العربية واللغة اللاتينية : بقول الأب صالحاني :

ان اللاتينية ماتت كلفة للشعب بموت الدولة الرومانية وبقية كلفة للكنيسة والعلماء . اما الشعب فكانت اللغات على لسانه تتكيف بتكيفات مختلفة حسب الامكنة والازمنة والعناصر ، ولم تكن اللاتينية لغته الاصلية وانما كانت اخرى : كالسليزية السكسونية والجرمانية الهندية ، وامتزجت بلغة اليونان فلم تثبت تلك اللهجات الا بتمادي الزمان وتنوع الكتابة وفتح المدارس وتآليف الكتب ، وساعد الشعوب في ذلك انفرادهم في اصقاع متناحية ودول مستقلة، فآين كل ذلك

(1) البيان م 1913

(2) م المشرق ص 130 م 23 سنة 1965 .

فلسفة الحركات في اللغة العربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال

مدير معهد الدراسات والبحوث للتعريب

— الرباط —

ويعومه وحفاهه ولسانه وشفيته فيخرج الكلام بكل
انواع اصواته الشديدة منها والمتوسطة والخفيفة
والثقيلة والطويلة والقصيرة الى غير ذلك من غرائب
خلق الله وعجائبه سبحانه تعالى عز وجل .

الاصوات اللغوية :

واذ لا حركة ولا سكون الا باذن الله فان
الاصوات التي يخرجها الانسان من جهازه لا يخرجها
بدون سبب كما ان لكل ما يصدر عن الانسان ولكل ما
يحصل له اسبابا منها المجهول ومنها المعلوم ، بله :
كل ما يقع ويحدث في هذا العالم بمعناه العام له
اسباب ، ولهذه الاسباب اسباب اخرى لها اسبابها
التي تنشأ عن اسباب ، منها المجهول ومنها المعلوم
الى غير ذلك من اسرار الطبيعة التي لا نعرف عنها الا
القليل . وعلم الاصاتيات بخبرنا بالحركات التي تؤدي
بالجهاز الاصاتي الى اخراج الصوات (فونيمات)
التي تشكل الحروف ويجعلنا نقف عند حدود الفوارق
ومؤثراتها .

ففيما يخص صويته الباء بالنسبة الى صويته
الهاء مثلا نعلم جميع ما يحدث اثناء التلغظ بهاتين
الصويتين . فان صويته الباء يتطلب اخراجها
مجهودا اكبر من المجهود الذي يقتضيه اخراج
صويته الهاء ، لانه يفرض العمليات الآتية :

يحدث نشاط كيميائي وكهربائي تفاعلي داخل
المشتبكات (والمشتبكات هي الامكنة التي تشتبك

1 - التسم الاول :

من المعلوم ان اللسان هو العضلة الاساسية
التي نستعملها داخل الفم لاجراء الاصوات اللغوية
بمشاركة اعضاء اخرى خصتها طبيعة التركيب البدني
بالمساهمة في انتاج الكلام على اساس تيق نفساني
يديع يتصرف في عمليات بدنية متسلسلة خلاصتها ان
موجات صوتية متتالية منشؤها ذبذبات فيزيائية .
تنتشر في الهواء وتدخل في الاذن فتتحول عندما تصدم
العصب السمعي الى سيالة (اي كهرباء بدنية)
تتسرب الى ملايين الخلايا الدماغية لتثير صورة سمعية
تنشأ عنها صورة بصرية . ويجب ان تكون الصورتان
متطابقتين تطابقا تاما والا حصل سوء الفهم . ويحدث
في الدماغ اثناء التفكير وقبل الرد بالجواب بموجات
اخرى ما يحدث فتنتقل من فم المجيب ذبذبات اخرى
تنشئ موجات بدورها تطير في الهواء وتصدم اذن
المستمع وتلتقي بعصبه السمعي فتتحول الى سيالة
اخرى وتصل الى وحداته العصبية لتثير صورته
السمعية يجب ان تكون صورتها البصرية مطابقة لها
مطابقة تامة والا حصل سوء الفهم من جديد . ويحدث
في دماغه ما يحدث من التفاعلات الكيميائية والفيزيائية
والاحيائية (اي البيولوجية) والنفسانية والروحانية
والعقلية وغيرها ولا يدوم هذا كله الا مدة رمشة العين
قبل ان ينبث الامر بالاجابة فتتسرب بالسيالة من
جديد من المراكز والمناطق الخاصة بالكلام والسمع
والبصر لتحرك بواسطة اعصابها العضلات المتحركة في
اجهزة الكلام كالحنجرة واوراها وغضاريفها وكالقم

المفوح وحاملا صوت الباء الجهيرة عبر الهواء الطلق
في شكل موجات صوتية .

هذه العميات كلها بتناسقها العجيب وأنواع
حركاتها الدماغية والعصية والعظمية الدقيقة هي
التي تتطلبها الباء ونحن غير شاعرين .

أما الهاء فلا شيء من ذلك فيها إلا خروج الهواء
انحامل ذبذبات الوترين الصوتيين بينما تكاد أعضاء
الغم تكون في حالة استراحة وارتخاء .

وما يحدث للباء خفيف بالنسبة الى القاف والكاف
والراء والحاء والشين والصاد وثقيل بالنسبة الى
الحاء والعين والغين والفاء والهنزة الخ . . .

وإذا اشتد خروج الاصوات الثقيلة فذلك لسبب .
وإذا خف فذلك لسبب أيضا أرادته العقل ليعبر عن
الشدّة مع الاصوات الشديدة وعلى اللبونة مع الاصوات
الليونة ومثال ذلك : هف وقض ، فهفت الريح : هبت
فسمع صوت هبوبها ، وهب الريح : خف وععب
الرجل : اسرع في سيره والهب انخفيف من الناس ،
وكل شيء خفيف لا شيء في جوفه والسلك الصغار ،
وسحاب هف : رقيق لا ماء فيه . بينما نرى في قض
ما يبني : قض عليهم الخيل ارسنها ونشرها وقض
الحائظ هدمه هدمًا عنيقا وقض الودد : قلعه وقض
الشيء دقه وقض السير أو الوتر ، سمع له صوت
كأنه قطع الى غير ذلك من المعاني . فكأنما خفت في
خف اشتدت في قض .

وهناك فكرة أخرى وهي فكرة الاستعانة ،
استعانة الصوت بالنسبة للمدلول . فان كان صوت
الهاء لا يتطلب نفس الجهد الذي تتطلبه القاف والراء
مثلا فان اصوات الحروف وانغامها ورنينها وأجرامها
موضوع استحسان أو استخشان من طرف الانسان
(انظروا هنا الى الفرق بين مادة حسن ومادة خشن ،
فالحاء لطيفة والحاء ثقيلة) فلكل لطيف وانيق وجميل
وحلو ومطرب ومفرح ومسمد اصوات لطيفة لينسة
وموسيقية ، ولكل خشن وثقيل وخبيث وبشع ومقلق
ومحزن الخ . . . اصوات تناسب تلك الصفات بمعاني
اصواتها .

وهذه الافكار انتبه اليها فقهاء اللغة القدماء
فخصصوا لها ابوابا مشهورة عنوانها بمطابقة اللفظ
للمعنى ، ومن أشهرهم في هذا ابن جني ، كما الفوا
فيها كتبا أشهرها قاموس مفاتيح اللغة لآحمد ابن
فارس ، الا ان علماءنا المحدثين ممن تتلمذوا على

فيها الاستطلاات الشعرية الخاصة بالوحدات المعيبة
التي تنساب معها السيادة العصبية ، وهذه المشتبكات
تشبه مرآة كهربائية (اي بطاريات) فيها عدة خلايا
في كل واحدة منها مادة كيميوية أساسها الكالسيوم
والبوتاسيوم والصوديوم وأنواع مختلفة من العناصر
النادرة كالحديد والمنغنيز والبور والماغنيزيوم
والكوبالت الخ . . . والكلمة منمات (ذائب) في سائل
خاص يسمى الخليل المراري (الاستيلكولييسن)
والتفاعل الكيموي الذي يحدث في هذه المشتبكات
يخلق الكهرباء الخاصة بالبدن وهي السيادة . وهذه
السيادة مهمتها حمل الإهجات (اي الطنقات العصبية)
الى الوحدات العصبية الأخرى أو الى أجهزة التنفيذ
المحيطة كالعضلات مثلا . وفيما يخص نقطة موضوعنا
بالضبط تتسرب طنقات سيالية نحو عضلات الحجاب
الحاجز لترتفع الاضلاع فتنتفخ الرئتان اذالك ويحدث
امتصاص للهواء الخارجي الذي يتسرب اليهما من
منفذ الانف أو الفم أو منهما معا - بعد ان حصلت في
مشتبكات أخرى من الدماغ عمليات أخرى لامر عضلات
الغم بفتحها - فينساب الهواء مع الرغامى (اي القصبة
الرئوية) الى القصبتين اللتين تتشعبان في الرئتين ،
وذلك بعد حدوث اهجات أخرى في الدماغ امرت
عضلات الحنجرة بابعاد الوترين الصوتيين الواحد عن
الأخر لينفخ المجال امام الهواء الجاري نحو الرئتين -
ثم بعد ذلك تنطبق الشفتان الاحدى على الأخرى عندما
تضغط الرئتان الهواء ليفر منهما متسربا مع الرغامى
فيجد الأوتار الصوتية قد تباعدت لتسمح له بالمرور
فيصل الى البلعوم وعند ذلك أو قبل ذلك بقليل يرتفع
الحفاف بلهاته وينطبق على منفذ الانف ليسده مانعا
الهواء من التسرب منه حتى لا تحصل الفنة في صوت
الباء ثم يصل هذا الهواء الى الفم ويريد النفوذ من بين
الشفقتين فيجدهما منطبقتين كما اسلفنا فيصدمهما
ويحاول تفريجهما فتزداد حركة عضلات الشفتين تقلصا
ويزداد انضمام الشفتين شدة لمنع الهواء من الخروج
ويشتد ضغط الهواء على الشفتين وعلى الشدقين
وعلى الحفاف وكل هذه الاعضاء تقاوم ذلك الضغط
بالتقبض والتقلص ، وإذا بالوترين الصوتيين يقتربان
ويشرعان في التذبذب لانشاء ما يسمى باللحن
الحنجري الذي سيجمل من حرف الباء حرفا مجهورا
لا مهموسا فتحصل اذالك عملية الترنن وهي فزيائية
محضة ، وفجأة تباعد الشفتان الاحدى عن الأخرى
وينفث الهواء المضغوط بعنف وشدة خارجا من الفم

العلماء الاوربيين اقلعوا عن هذه الابحاث النفيسة لانهم عملوا بنظريات العلماء الغربيين الذين فشلوا في بحث هذا الموضوع ولا غرابة ، لانهم لهم يحافظوا على لغتهم الاصلية فأصبحت لغاتهم خليط لهجات لا تطابق طبيعتها عبقريتهم ، اذ لكل شعب خصائصه اللغوية لا سيما في موضوع الاستغاثة ، فهذا الشعب الالمانى مثلا يستحسن صوتية الخاء وصوتية الراء الالمانية ، بينما الشعب الفرنسى يستحبها . وهذا الشعب الانكليزي ينفر من « تغنين » الانكليزية ، بينما الشعب الامريكى يستحسنها - وبينما لا نرى شعبا اوروبيا يجيد صوتية (u) اذا بالشعب الفرنسى يكثر منها - وتغلب صوتية الشين فى البرتغالية ، كما تغلب عملية التفعر البلعومي فى اللغة الروسية ، وما أحنى صوائت الحاء والهاء فى اذنا ، وما أقبحها فى اذن غيرنا الخ . . من الاعتبارات التي يرجع سببها الى اختلاف الذوق .

لهذا كله لا تصح هذه النظريات الا فى موضوع لغة أصلية بالنسبة الى شعبها الاصيل ، ومعنى هذا انها لا تنطبق على الالفاظ الدخيلة والاجنبية مع مراعاة التفاوت داخل شعب واحد ، ومن قبيلة الى قبيلة ، ومن بطن الى بطن ، ومن حي الى حي ، وحتى من عائلة الى عائلة ، ومن أسرة الى أسرة .

ولا ننظر الوصول الى نظرية شاملة قائمة على أسس متينة فى مدة قصيرة لان فى هذا المطلب من التداخل بين الاصوات باعتبار الحقيقة والمجاز وباعتبار الاقدمية والاحداثية وتغير الصوائت عبر التاريخ بالنسبة الى اللهجات العربية من جهة وبالنسبة الى تغير الدلالات من جهة اخرى مما هو فى الحاجة الى تضافر الجهود وتبادل الخبرات وتوفير اجهزة المد والاحصاء والترتيب والتصنيف الشيء الذي ينقصنا اليوم . وقد يتبادر الى الذهن ان هذا العلم فى تناول اي شخص اذا ما اعتمد على الملاحظة والمقارنة بوسائله الخاصة . كلا ! وحذار ثم حذار ! لان اجدادنا اللغويين وهم المعروفون بالدقة والاجتهاد وسعة الباع ان اجادوا فى بعض هذا العلم فان وسائل تقصتهم فتوهموا فى بعضه الآخر .

واذا كانت الحروف تتكون من الصوائت فان الكلمات تتكون من الحروف . واذا كان لكل حرف معنى فان مجموع معاني الحروف يؤدي الى معنى الكلمة ومجموع معاني الكلمات يؤدي الى معنى الجملة ، وهنا قال علماءنا بمطابقة التراكيب للمعاني كذلك وقالوا ان

الزيادة فى المبنى زيادة فى المعنى . بدون اعتبار دوران الحركات فى الاوزان . فبحر جمعه بحور وبحار وابحرة واباحير وابحار ، والبحر قليل التركيب لانه يدل على المفرد وجموعه أطول منه لانه يدل على الكثرة . ولكن تحديد المعاني بالتراكيب اختلف فيه كما اختلف فى ما سبق لعدم توفر مواد البحث فى ما وصل اليه العلم الحديث . الا انهم تركوا هذا الموضوع لتعقده واشكاله فلم يعيروا الحركات الاهمية التي تستحقها وغلبت عليهم نظرية السماع والقياس التي كانت سائدة فى العلوم اللغوية آنذاك مما أدى الى ما يسمى اصطلاحا بالعامل المؤثر باعتبار متن اللغة او فى ما هو ضمنى باعتبار الاعراب . كل ذلك لغاية واحدة هي المحافظة على التراث اللغوي وعلى القرآن ورفع اللحن الذي كان قد انتشر بصورة مهولة . اصف الى ذلك انه كلما ثبت عند بعضهم القياس الا واضعفته شواهد سماعية شاذة مما أدى الى بليلة الافكار واللجوء الى السماع مع الإبقاء على فكرة القياس رمزيا لان احدا من القائلين بالقياس لم يجرؤ على تغيير ما أصبح شائعا من اللغة واحلال القياس محل السماع . فبقدر ما درسوا معاني الحروف وتوفقوا فى بعض نواحيها بقدر ما فشلوا فى معاني الحركات ولم يصلوا الى نتيجة علمية تجعلهم يشيدونها بمثابة قاعدة . فكلهم قالوا عن الفتحة انها أخف الحركات العربية لذلك كثرت فى اللغة وقالوا عن الضمة انها أثقل من الفتحة وقالوا عن الكسرة انها أثقلها . اذن بنوا حكمهم فيما يرجع الى الحركات على اساس سمعي لا جسماني كما فعلوا ذلك فيما يخص الحروف . وهذا الاساس السمعي هو الذي سنحاول الكشف عنه :

فجاء ابراهيم مصطفى فى عصرنا الحديث والى كتابه المشهور « احياء النحو » الذي كان له أكبر صدى فى هذا الميدان فعلى الفتحة بأنها أخف الحركات وانها تدل على شيء وعقل الضمة بأنها علم الاسناد ودليل على ان الكلمة المرفوعة يراد بها الاسناد اليها والمحادثة عنها . اما الكسرة فانها علم الاضافة ، واشار الى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط بأداة او بغير أداة ، وقال ابراهيم انيس بعدم معاني الحركات فى الاعراب (انظر اسرار العربية) وقال المخزومي : ليست الفتحة علما لشيء خاص ولكنها علم كون الكلمة خارجة عن نطاق الاسناد (الذي هو للضمة) او الاضافة (الذي هو للكسرة) وان الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع اليها العربي ما وجد الى الخفة سبيلا ، وهو رأي الخليل وسيبويه ، واما ابراهيم

لانه يتغير وليس بتأبث كالاسماء . ولا تضم الا اذا بني للمفعول . فيبقى الفتح في فاء كل فعل ماض - اما الحرف الاخير فهو مبني على الفتح الا اذا طرا عليه ما يضمه أو يسكنه . وحرف الوسط فقد ذكرنا ما جاء عندهم فيه .

ونستنتج مما سبق انه ليس هناك قاعدة عاممة يطعن الفكر اليها ويركن وان السماع هو الاساس بيد انه اذا تتبعنا بازاء معالجة معاني الحروف ، معاني الحركات قد نهتدي الى شيء مضبوط ناتج عن الاحضاء من جهة وعن اعتبار قانون الجهد والكسل المهيمن على كل ما هو من قبيل تصرف الانسان في عميق حياته . اذ منذ ان ظهر الانسان على البيطة الا وحاول وما يزال يحاول ان يوفر لنفسه اسباب الحياة بأقل جهد ممكن مما ادى به الى هذه الاختراعات العجيبة التي يريد تسخيرها لخدمته ليعيش سعيدا والسعادة لديه معناها الحصول على كل ما من شأنه ان يلبي رغائبه وحاجاته وآماله بلا تعب ولا مشقة . اضع الى ذلك ان له نشاطا عقليا جعله يتصور العالم بصورة مختلفة باختلاف الاغراض والهوايا والاماني والخيال والشعور وبما يؤثر به على الطبيعة وعلى غيره من البشر وبما يتأثر به من الطبيعة ومن المجتمع . ومن الاسباب التي دفعتنا الى تركيز البحث على معاني الحركات التناقض الظاهر في مدلولاتها .

فهذه لغة - العربية تبدو لك في كتابتها مبنية على اساس حروف صامتة وهذه الحروف لا تصوت الا مع علامات خاصة توضع فوقها او تحتها وهذه العلامات لا تنطق وحدها لانه لا يوجد في العربية معنى يفسد بصوت حركي مفرد كما هو الشأن في اللغات الاوروبية حيث « او » (ou) مثلا تفيد مدلول المكان ، او التخير يعني انه لا يوجد لفظ مكون من حركة واحدة والكلام كله صوائب (جمع صوتية = فونيم) مركبة من حروف مع حركاتها لا من حروف وحدها ولا من حركات وحدها فالكلام عند العربي من كلم اي جرح وشق بمعنى فتح - الصمت) فهو مكاشفة ومباشرة من الكشف اي رفع الستار عن المختبىء ومن البشر اي الشق والفتح - والعربي يعتبر ان الانسان في سكوت وسكون وهدوء بالنسبة الى العالم الذي يعيش فيه وبالنسبة اليه اي الى وضعه فيه ، فهو يكلم هذا العالم الغريب عند التعبير كما يفطر ذلك الصمت الذي هو الصيام ، لذا سمي انطارا من فطر اي شق وقطع ، الله فاطر السماوات والارض اي خالقها من فعل خلق اي شق : خلق وخرق وخرج وحرك الخ . والحركة

السامرائي فانه يقول في الفتحة انها وجدت في كثير من اللغات السامية الا انه سرد اقوال « مارسيل كوهن » و « يوهان فوك » الذين يثبتان بان اللغات السامية كان لها اعراب ، ولم اعثر على نظر له في هذا الموضوع . اما اثبات الاعراب فانه جاء في معظم كتب اللغة من الصاحبى والمزهر الى كتب فقه اللغة الحديثة .

ومن الذين عالجوا هذا الموضوع عبد الله العلابي الذي قال : « باب ضرب يضرب » يخضع له التلبس بحركة الفعل في الزمن الحاضر ، بينما الخمسة الاخرى فلافادة معنى زائد . . . فاذا اردت الدلالة على التفوقية او التركب فسوق الدلالة على التلبس بالحال الفعلية تنقل الفعل الى باب نصر ينصر ولذا طرده اللغويون في المفارقة والمبالغة (فامرته فقمته فانما امره) واذا اردت الدلالة على التقلب والانسراح تنقل الفعل الى فتح يفتح ولا تلق بالا الى ما اشترطه اللغويون من ان هذا الباب خاص بما كسان عينه اولامه حرف حلق فهو تقدير واهن . . . واذا اردت الدلالة على التغير خلوا وامتلأ وجودا او عدما تنقل الفعل الى علم يعلم . . . واذا اردت الدلالة على الرسوخ والطبع تنقل الفعل الى حسن بحسن واذا اردت الدلالة على التجزؤ (والتقسم تنقل الفعل الى سباب ورث يرث) انظر المعجم للعلابي .

وهذه الاقوال كلها اما تكرير لما قاله القدماء واما استنباط منها ، اذ قالوا اجمالا ان « فعل » يفتح العين لمعان كثيرة لا تنضب ، منها القلب : قامرني فقمته امره اي اقلبه في القمر ، ومنها ان افعال الحدوث تندرج تحت عنوانه - بينما فعل يشمل افعال الفرائز والطبائع فيدل على لزوم مداولاتها لان ما يقتضيه الطبع يدوم بدوامه وتكثر فيه العليل والاحزان واضدادها . . . وتجيء في غير فعل الا انها فيه اكثر منها في غيره ، وفعل للطبائع وهي الافعال اللازمة الصادرة عن الطبيعة وهي القوة الموجودة في الشيء التي لا شعور لها بما يصدر عنها ، وخص الضم بها لانضمام الطبيعة الى الذات عند صدور هذه الافعال منها كانضمام الشفتين عند خروج الضم منها .

وفي الحرف الاول من الفعل قالوا : لما كانت العرب لا تبتديء بساكن فلا تكون ساكنة فاؤه ساكنة ولا تكون مكسورة - الا للضرورة وذلك عندما يكون الفعل اجوف وبني للمجهول او من باب فعل وهو اجوف كذلك وتضم كذلك في الاجوف من باب فعل لا غير - اذن لا تكون مكسورة لقوة الكسرة وهو قليل

الفم من العض والقطع للمأكولات وهذه العملية عملية
 افعال الفم - هي أساس حياة الرجل لتلبية حاجته
 الاساسية ليعيش اما ابعاد الفك السفلي عن الفك
 العلوي فتقوم به ثلاث عضلات كذلك الا انها ضعيفة ،
 وهي ذات البطنين Digastrique والظرسية
 الامية Mylohyoïdien والدقنية الامية
 Géniohyoïdien فعملية الافعال اذن بفضل
 عضلاتها القوية اسهل وأيسر من عملية الفتح الضعيفة
 العضلات فاخراج الفتحة اصعب من اخراج الضمة
 التي تقتضي فتحا اقل من الذي للفتحة وهي اصعب
 بدورها من الكسرة التي تقتضي انفتاحا قليلا للفم حتى
 ان صوته الكسر قد تخرج ويكاد الكفسان يكونان -
 منطبقين الواحد على الآخر وفي الحقيقة اذا قال
 القدماء بخفة الفتحة وتقل الضمة والكسرة باعتمادهم
 على ظاهرة الجمال الصوتي فذلك له اساس في اعماق
 الانسان الا وهو الكلام المفتوح يروق لما يوحى به من
 حركة ونشاط وحيوية وارادة بالنسبة الى الكلام
 المكسور انذي يشير الى الانهزام والخضوع والرذوخ
 وبالنسبة الى الضم الذي يدل على التراكم والتفاقم
 والسكون والركود .

واذا تمهلنا في هذه النظرية وتاملناها تأملا
 متندا عميقا في حد ذاته ثم بالنسبة الى اصول اللغة
 لا الى فروعها وأخطائها وشائنها ، وتبصرنا امورها
 الباطنية اعتمادا على فلسفة الحركات بالنسبة الى
 البدن البشري وطبقناها تطبيقا محكما ، امكننا اذاك
 ان نشيد نحوا جديدا منطقيا يكشف لنا الستار عن
 النحو القديم الاصيل الذي بنى عليه العرب القدماء
 لغتهم فأصبحت مطابقة لاغراض عقلمهم وشعورهم
 واحاسيسهم اي بكلمة واحدة مطابقة للحياة ، اذا فعلنا
 هذا ستصبح اذاك العربية اسهل اللغات بالنسبة الى
 العقل اي بالنسبة الى ما يريد العقل التعبير عنه
 فيمكن حينئذ ان نسترجع ملكة اللغة العربية التي
 ضاعت وبضياعها انزوت في السماع اي في الحفظ
 بخطئها وصحيتها بدون معيار للتمييز بين الصالح
 والفاقد وبين التطور الدائر المتكرر والتقدم القاصد
 الهادف الى الكمال .

الامثلة :

خذوا مثلا مادة « دخن » التي جاءت منها الابنية
 الثلاثة : دخن ودخن ودخن ، فانكم تجدون ما يلي :

اما يقوم بها الانسان واما تحصل له من غيره من البشر
 الذي يعيش معه او من العالم الذي هو فيه بالنسبة
 الى عناصره من ريح ورعد ومطر ونار الخ ... فهو اما
 مؤثر على العالم واما متأثر به . فالعربي . بهذه
 الفلسفة التي تتجلى في لغته واضحة لانه حافظ نسبيا
 على اوضاعها بينما نراها اندرست في اللغات الاخرى
 يرى العالم في ابعاد ثلاثة كما ان لغته مبنية على ثلاث
 حركات ، حركة الفتح أي التأثير على العالم الخارجي
 وهو عمل صادر عن الارادة ، مثل ضرب وقتل وخرج
 ونطح وقطع واكل وفتح ودحل وصرع الخ .. وكلها
 افعال مفتوحة العين لان الفتحة تدل على العمل الصادر
 عن الفاعل بارادة منه حقيقة او مجازا - ثم حركة
 الكسر اي التأثير الذي يحصل للفاعل من طرف العالم
 الخارجي ، فالكسر والخسر والقصر والخزل كلها
 بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور . فالفعل
 المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل بدون
 ارادة منه حقيقة او مجازا مثل مرض وحزن وعطش
 وعلم وفرح وسقم وغرق وعسور وحذب وجزع الخ ..
 ثم الضم (والظم والتم وكلها تدل على التجمع والكثرة
 والدوام والثبات) ك : حسن وخشن وكبر وصفير
 وقرب وعرج وعور ودخن وشرف وكلها بمعنى حصول
 الشيء للفاعل لا حصولا طارئا أو مؤقتا كما هو في
 فعل بل بكثرة ودوام وثبات ونهاية . كل هذا مبني على
 اساس قانون الجهد والكسل الذي اشرنا اليه . فيما
 ان الحروف بشدتها ورخاوتها ، برخومتها وخشونتها
 تصدر عن الانسان للدلالة على الشدة والرخاوة والرخومة
 والخشونة في الاشياء ووصافها فان الحركات كذلك
 يجب ان تعتبر على هذا الاساس الجسماني الا ان فكرة
 الثقل والخفة بالنسبة الى الاذن حسب ما ذهب اليه
 الافدمون فكرة ناقصة لانها مبنية على ظاهر اللفظ لا على
 باطنه المحرك الذي هو النشاط العصبي الدماغى
 بالنسبة الى تحكم الانسان في كلامه . واذا كان ذلك
 كذلك فلنا ثلاث حركات تقوم بها اعضاء الكلام لاخراج
 ثلاثة انواع من الحركات : الفتحة والضمة والكسرة
 التي تتصرف في جميع اللغة ، فلماذا الفتحة تدل على
 العمل الارادي ؟ لان فكى الفم عند اخراج صوته الفتحة
 يتعدان الواحد عن الآخر . وما الذي يبعدهما ؟ ثلاث
 عضلات : الاولى عضلة قوية جدا عريضة وغلظت تسمى
 الماضفة Masseter وعضلة ثانية تساعد الاولى
 وهي الجناحية Ptérigoïdien وعضلة ثالثة
 هي الصدغية Temporal تساعد الثانية
 اذن ثلاث عضلات قوية لرفع الفك الاسفل حتى يتمكن

دخن (بفتح العين) الدخان : اذا سطم وارتفع .
وهنا تشخيص للدخان وكأنه يرتفع بارادة منه .

ودخنت (بفتح العين) النار : ارتفع دخانها
اي اطلقت الدخان فارتفع . وهنا تشخيص كذلك
لفعل الفعل اراديا) .

ودخنت (بكسر العين) : التي عليها حطاب
فأفسدت فهاج دخانها (والمعنى واضح ، أي حصل لها
الدخان وأصيبت به فأصبح الدخان يحصل لها ويؤثر
عليها) .

ودخن (بكسر العين) الطعام واللحم وغيرها :
اذا اصابه الدخان في حال شبه أو طبخه حتى تعطب
رائحة الدخان على طعمه (وهنا معنى الحصول واضح) .

ودخن (بكسر العين) الطبخ اذا تدخنت القدر -
وشراب دخن (بكسر العين) : متغير الرائحة (اي
بالمعنى الحقيقي رائحته هي رائحة الدخان وبالمعنى
المجازي : لم تبق رائحته الاصلية فتغيرت واطلق
اللفظ على سبيل العموم) -

ودخن (بفتح العين) الغبار : سطم وارتفع اي
كما يسطم الدخان يسطم الغبار) -

ودخن (بكسر العين) خلقه : ساء وفسد وخبث
(بمعنى حصل لها السوء والفساد والخبث) ودخن
(بضم العين) النبات ودخنت (بضم العين) الدابة
دخنة مثل دخن (بكسر العين) (يستخلص منه الثبات
والدوام على حالة الدخنة اي الكدرة يعني صار نهائيا
في ذلك اللون أو لم يستطع الصبر على كثرة الدخان) .

واذا اخذنا مادة اخرى فيها الابنية الثلاثة مثل
« ش ر ف » ومعناه العلو نرى ما يلي : شرفه (بفتح
العين) : غلبه في الشرف . وشرف (بفتح العين)
الحائط : جعل له شرفه ، وشرفت (بفتح العين)
الناقة : صارت شارفا (اي على سبيل التشخيص

علت وارتفعت في السن) وشرف (بكسر العين)
الرجل : دام على اكل السنام (بمعنى غلبت عليه
شهوة اكل السنام اي الشرف وهو السنام أصلا من
نفس المادة) وشرفت (بكسر العين) الاذن وشرف
(بكسر العين) المنكب : ارتفعا اي شرفا (بكسر الراء)
اي صار مرتفعين - وشرف الرجل (بضم العين)
صار ذا شرف (اي في حالة ارتفاع وعو تبتت فيه
واصبح يتصف بها) وشرفت (بالضم) الناقة : صارت
شارفا (والفرق بين شرفت الناقة (بالكسر) وشرفت
(بالضم) واضح فالاول ملحوظ الوصف بعد عدمه
والثاني كثرته وتراكمه ودوامه حتى اصبح في اعلى
درجة منه) .

وفي مادة « حزن » حزن (بالكسر) حزنا وله
وعليه : ضد سر اي حصل له الحزن - وحزناه (بالفتح)
ضد سر (لغة تميم وهي عندي اقرب الى الاصل
العربي من لغة الحجاز) ، ولم يرد « حزن » (بالضم)
في الاستعمال تلافيا للطيرة مع ان مصدره حزونة بقي
مستعملا بالمعنى الحقيقي وهو غلاظة الارض وشدهتها .

وفي مادة « بشر » بشر وبشر بالثبوت وجهه
خرج به بشر : (والمفهوم الضمني المعاقبة بين الثاء
والزاي : « بز » والمعاقبة بين الثاء والصاد : بصر -
ومراعاة القلب المكاني : ثبر - فباتينا منه معنى القروح
ومعنى الكثرة ومعنى نوع من الارض . واذا وقفنا على
المعنى الاول فمفاده : بشر (بالفتح) وجهه : اخرج بثورا .
وبشر (بالكسر) وجهه حطت له بثور . وبشر (بالضم)
وجهه وهو : اصبح ذا بثور فهناك تدرج واضح في
المعاني بين فعل (بالفتح) وفعل (بالكسر) وفعل
(بالضم) وذلك في الافعال كلها .

وباعتبار هذا كله نصل الى الحقيقة الاتية وهي
ان العربي كان ينطق حسب ما في دماغه من اغراض .
واللغة العربية - داخل حدود نظريات وقواعد ثابتة -
اداة تمتاز بطواعية للتعبير عن جميع ما يختلج الفكر
لا ميل لها في أي لغة من لغات هذا العالم .

التعريب والتفتح في المغرب العربي

للدكتور محمود عبد الوكيل

«تونس»

— ان التفتح شطر اللغات الحية والحضارات المتقدمة يجب ان يكون مدروسا — لا متروكسا للصدف ، لكي يلعب دوره المكمل الفعال لثقافتنا ولقننا وأصالتنا .. والا انقلب الى خطر ماحق يهدد شخصيتنا وكياننا الاجتماعي والثقافي ، بالمسح ولذئبة ... كما نرى — لا تناقض بين قيمنا القومية وقيم الاممية في مضمار الاصاله والتفتح . نستطيع ان نأخذ عن الغير العلم والتقنية والثقافة المتقدمة وذلك بتعلم بعض اللغات الاجنبية الحية بدقة واتقان — اذا أمكن — وفي نفس الوقت نتمسك بمفومات شخصيتنا العربية والاسلامية حيث تكون اللغة العربية والفكر الثوري من عناصرها الاساسية، هذا في رأبي هو الانفتاح المنشود . أما الاقتصار فقط على الاخذ من فرنسا وحدها عن طريق لفتها وثقافتها ، فهذا هو التحجر والذوبان معا .

انه التحجر لان فرنسا هي في الواقع تعتبر في خصوم بعض الميادين العلمية والتكنولوجية متخلفة بالنسبة لعدد من البلدان المتقدمة كأمريكا وانجلترا وروسيا وألمانيا ... الا انها تعتبر طبعاً — متقدمة تقديماً مهولاً — بالنسبة للبلدان المتخلفة جميعها . ليس من الافضل لبلدان المغرب العربي ان تستفيد من اختصاصات — هي في حاجة اليها — ولا تجدها في فرنسا بل في بلدان اخرى متقدمة ، سواء كانت في الشرق الاشرقي أو الغرب الراسمالي ؟ . اذا كان الجواب بنعم ، فلا شك ان تعلم لغة من اللغات

ينحدث الناس كثيراً ، هذه الايام عن الانفتاح أو التفتح ، حتى غدت هذه الكلمة مبتدلة واصابها ما أصاب بعض العملات ، اثناء الازمات الاقتصادية ، من تضخم قد قضى على جزء ضخم من قيمتها اشرايية .

ولا نعدو الحقيقة كثيراً اذا قلنا ان كلمة انفتاح أو تفتح أو تعصير ، أصبحت ، في قاموس البعض ، تملأ لانهايم كل من انبرى للدفاع عن حظوظ اللغة والثقافة الوطنية ، بالتحجر والزمانة والانطواء على النفس ...

وبهذه المناسبة ، ونحن نضع بعض ملاحظاتنا حول « جدلية التعريب والتفتح » أو جدلية « الاصاله والتفتح » — تؤكد لادعاء الانفتاح والتفتح والتعصير — دون ذكر اسمائهم — ان كل من يعتز بلغته وأصالته الثقافية والقومية بطريقة ، ثورية وموضوعية ، بإمكانه ان يستفيد من عملية الاخذ والعطاء مع الحركات الفكرية والعلمية في العالم . وذلك على شرط ان تكون اللغة والاصالة الحضارية والاجتماعية هي الاصل والمنطلق ، لكل عملية تفتح عبر اللغات والحضارات الاجنبية . لذلك لن يتم هذا الاخذ والعطاء الخصب الا في شروط موضوعية معينة منها :

— تحريك قيمنا الحضارية الخالدة — وتراثنا الثوري الحافظ ، وربطها بالحركات الفكرية والعلمية المتقدمة في عالم القرن العشرين .

وادبولوجية ونفسية لا تخفى على احد . واذا صارحنا
انفسنا وضماثرنا ، فهو . في حقيقة الامر قضية
مصيرية تتحكم فيها السياسة والاقتصاد ، بحيث
تتجاوز امكانيات رجال الفكر والتربية والثقافة في
المغرب العربي . والراي عندنا ان الحل الجذري
لمشاكل كثيرة يتخبط فيها مجتمعنا المغربي اليوم ،
يكنم في تبنى سياسة التعريب الشامل والمرحلي .
فهل لنا ان نعرب ؟ وهل لنا ان نجعل من لغتنا
القومية ، لغة المدرسة والادارة والشارع ، والانتاج
الفكري والعلمي ...؟

از لا يمكن ، اطلاقا عزل المفهوم السياسي
لعلمية التعريب عن مفهومها الثقافي ، فكلاهما وجهان
لعامة واحدة !؟

لذلك ونظرا للشعب قضية التعريب ، باعتبارها
قضية سياسية ومجتمع ، وحضارة ، ولغة ، وشعب
ومثقفين ، وهي مطروحة اليوم بثقلها الكامل والملح
على الصمغين الرسمي والقومي ...

لذلك ونظرا لكل هذه الظروف والملايات
الادبولوجية والنفسية التي تحف بالتعريب لا يسعنا
الا ان نؤكد الحقائق التاريخية التالية :

اننا لا ننكر ابدا المشاكل والصعوبات
النفسية والمادية التي تعرقل سير قطار التعريب ،
خاصة ونحن نعلم ان الاوضاع الاستعمارية التي
رزحت تحتها بلادنا ، قد فرضت علينا واقعا ثقافيا
واقتصاديا واجتماعيا متخلفا . ان هذه التركيبة
الاستعمارية الثقيلة والبيضة قد عكست على حياتنا
الاجتماعية ارتباطا لغويا وثقافيا خطيرا .

كان هدف الاستعمار في العصور الحديثة
سواء كان فرنسيا او انجليزيا يرمي الى تمزيق
وحدة الامة العربية وتقسيم الوطن العربي الى
دويلات وكيانات سياسية عديدة ، وذلك لغاية
السيطرة على مقومات هذه الامة بجماهيرها
الكادحة ، اقتصاديا وثقافيا ولغويا ...

وكان من نتائج هذه السياسة الاستعمارية
الادماجية في المغرب العربي الكبير بخاصة ، هو
تجهيل الجماهير بلقمتها وتاريخها وواقعها ... ومن
هنا كانت وضعية شعوبنا المغربية مطابقة للحقيقة
العلمية التي صدع بها ، منذ قرون عديدة العلامة ابن
خلدون وهي تؤكد بان « الامة الغالبة تفرض على
الامة المقلوبة حضارتها ولغتها .. » .

الحية كالانجليزية او الروسية او الالمانية ...
امر لازم .

ان افتاح مغربنا على العالم المتقدم - عن طريق
لغة او لغتين من هذه اللغات الحية سيساعده - دون
ريب على الخروج من معركة التخلف بنجاح للانطلاق
بعد ذلك - الى التنمية الاقتصادية والاجتماعية
والاشماع الثقافي والعلمي والتكنولوجي ...

وهو ذوبان وانحلال لشخصيتنا وخصوصياتنا
القومية والحضارية اذا استخدمنا اللغة الفرنسية
كلفة شبه رسمية واهملنا اللغة العربية . . . لان الانفتاح
على الثقافة الفرنسية او على اية ثقافة اجنبية اخرى
يجب ان يمر عن طريق عربتنا كما أكد ذلك العالم
الاجتماعي الفرنسي جاك بارك (Jacques Berque)
في عبارته الشهيرة :

«La francité du Maghreb passe par son arabité»

لذلك طالب المثقفون في تونس والمغرب الاقصى
قبل الاستقلال وبعده بالتعريب والاصالة الثقافية
لا لاسباب عاطفية ، وانما لانه المطمح الطبيعي
والاشعبي ، والسبيل الوحيد الى تحقيق ذاتيتنا
ونهضتنا ، والمنطلق السليم نحو وحدة مغربنا العربي
كخطوة نحو وحدة وطننا الاكبر ...

الواقع ان موضوع الاصالة والتعريب هو موضوع
له حساسية خاصة ويتطلب منا قدرا كبيرا من
الموضوعية والشجاعة . قد يحدث التباس في الاذهان،
ونحن نشير الاسئلة والتساؤلات حول قضية الاصالة
والتعريب ، قضية الساعة في مجتمعنا ، هذا
الالتباس يتمثل في ان الفرض من اثاره مشكلة
التعريب في تونس او الجزائر او المغرب الاقصى هو
احراج المسؤولين او التهمج على هذه السياسة
التربوية او تلك . لكن الذي حدانا الى معالجة هذه
القضية المصيرية هو حرصنا على بناء المغرب الكبير
على اسس متينة ، كخطوة مرحلية نحو بناء الوطن
العربي .

فالواجب يفرض علينا التقد الزويه والموضوعي
لجوانب حياتنا اللغوية والثقافية وغيرها كلما شعرنا
بان هناك خطرا يهدد كياننا . ان اسلوب السكوت
والغفول الكاذب هو بمنزلة الخيانة لانه يقضي على
امل شعوبنا في التقدم والتحرر والوحدة .

نحن لا ننكر ان موضوع التعريب والاصالة هو
موضوع خطير ، قد حفت به ملايات سياسية

تركيا الفتاة . اما في المغرب باقطاره الثلاثة ، فقد قامت محاولات شرسة على يد الاستعمار الفرنسي ، ترمي فيما ترمي اليه ، الى الفرنسية والادمج ، واحلال لغة المستعمر وثقافته محل اللغة العربية وثقافتها .

لذلك اكد المثقفون المغاربة - مرارا وتكرارا - ان لغة المستعمر ، بما تحويه من ثقافة وتقاليد لا تتماشى مع متطلبات السيادة الوطنية ولا تنسجم مع مقومات الشعب العربي في تونس والمغرب الاقصى والجزائر . وانما هي - بالعكس من كل ذلك - تمسخ او بامكانها ان تسمخ - شخصيته وتلهيه عن مشاكله الحقيقية .

لذلك فواقع اللغة العربية يعود تفسيره لظروف تاريخية وحضارية . بدأت اثر عصور الانحطاط والظلام ، وبخاصة في بداية العهد التركي ، ثم تطورت الامور عندما حاولت عائلات دخيلة محاربة اللغة العربية وذلك كخطوة نحو تتركب الاقاليم العربية . وكلمة تتركب هي كلمة دارجة حتى اليوم في بعض اللهجات العربية في المغرب وتونس وتعني مثلا العبارة : « يحب بتركني » معناه « يريد ان يهلكني » (1) . من هنا ندرك العلاقة المعنوية بين عملية مسخ العرب الى اترك عثمانيين . وعملية الهلاك والاهلاك .

ان عملية التتركب هذه قد نادى بها - كما نعلم - وحاول تطبيقها دعاة الطورانية من جماعة

(1) كلمة « تركة » بتشديد الراء معناها في عامية المغرب الاقصى : سلب او نهب كل ما يملكه ، وكان « المتترك » (يفتح الراء وتشديدها) مات فصارت تركته تحت رحمة السالب . ومن هنا يتضح اشتقاق الكلمة العامية من الفصحى ، كما يتضح من استعمالها في المغرب الاقصى بالمعنى الذي اشترت اليه .

اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية⁽¹⁾

الأستاذ أنطون شال⁽¹⁾
جامعة هايدلبرج
ترجمته الأستاذ إدريس الخطّابي

الفينا فقرته الحادية عشرة تقول من بين اشياء اخرى: « ينقسم الكلام الى ثمانية اقسام: اسم وفعل واسم مفعول واداة تعريف او تنكير وضمير وحرف جر وحال وعطف ». أما النحويون الرومان فاننا نجدهم يتخذون المصطلحات اليونانية مترجمة بالحرف الواحد. ولذلك ظل نموذج ديونيزيوس تراكس عالقا بالأذهان لدرجة ان الاقسام الثمانية ظلت قائمة على الدوام مع تغيير بسيط وهو احوال حرف التعجب محل أداة التعريف التي لم توجد في اللاتينية. وقد تولى النحاة الثقات، مثل دونات (Donat) وبريشيان (Priscian) نشر هذا المذهب طوال القرون الوسطى والزموا به الناس. أما التقسيم الثلاثي الذي أوردنا في مطلع بحثنا فلا يوجد له أثر واحد في هذا الوقت على ما اظن.

وقد أسس يوهانس رويشليين (Johannes Reuchlin) سنة (1506) في بفورتهام (Pforzheim) قواعد اللغة العبرية عند المسيحيين في كتابه « مبادئ العبرية ». وفي الصفحة (551) يكتب عند تعرضه لأقسام الكلام

اذا فتحنا كتابا من الكتب الحديثة التي تعالج قواعد اللغة اللاتينية نستعلم عن انواع الكلمات المكونة للجملة وجدنا التقسيم كما يلي: الاسم والفعل والجزء (أو الأداة) (Partikel). والعلامات التي يستند اليها هذا التقسيم ذات طبيعة عريضة اي انها ليست من صميم الكلمة: فالاسماء المعربة والأفعال المنصرفة كلمات قابلة للتغير. وأما باقي الكلمات غير المتغيرة فيشملها اللفظ العام: جزىء. غير أن علامات التمييز هذه لا تفي بالفرض اذا أردنا أن نقسم الجزىء الى اقسامه المختلفة. ومن ثمة ادخلت فكرة وظيفة الكلمة في الجملة وتفرع الجزىء الى حال وجرار وعطف ونداء. فنحن نرى اذن، أن قائمة أنواع الكلمات أو اقسام الكلام، قد اشتملت على الفاظ ذات طبيعة متباينة تباين وجهات النظر النحوية عبر التاريخ.

وإذا رجعنا الى ما قبل اليوم بحوالي قرنين أي الى زمن وضع القواعد النحوية الأولى في البلاد الغربية، والقينا نظرة على « فن القواعد اليونانية » لمؤلفه ديونيزيوس تراكس (Dionysios Thrax)

(1) جاءنا هذا البحث من مؤلفه من ألمانيا الاتحادية ورغم بعض الآراء الغربية التي جاءت فيه فاننا ننشره حتى تكون على علم بكل ما يكتب عنا مهما كانت نوعيته أو قيمته وقد نشرنا الاصل في مكان آخر من هذا العدد. وهو عبارة عن كلمة القيت بمناسبة تولي المؤلف الاستاذية فوق المادة للغات السامية الحديثة والاسلاميات في جامعة هايدلبرج في 21 ديسمبر 1971.

العبري : هنالك ثلاثة أقسام : الاسم والفعل والآتي بمعنى - نقول اليوم الجزىء - ، ويشتمل الاسم أيضا على الضمير واسم المفعول . ويشتمل الحرف على الأربعة الآتية : الحال والعطف وحرف الجر والتعجب . نرى أن تقسيم كتابنا الحديث للقواعد اللاتينية يتفق مع كتاب روبشليين اتفاقا مدهشا . والجدير بالذكر أن روبشليين والعلماء المسيحيين المعارضين له أخذوا فكرتهم حول أقسام الكلام عن الأعمال النحوية اليهودية القومية حول اللغة العبرية ، غير أن أعمال علماء اليهود النسقية الأولى كتبت باللغة العربية وألفت تحت تأثير وحسب نموذج القواعد النحوية العربية القومية .

قادتنا هذه الفارة الصغيرة في تاريخ النحو الى علم هيمن في عهد لعمان الثقافة العربية الاسلامية . وتأثير هذه الثقافة وبقائها في علوم القرب الطبيعية والرياضيات وعلم النجوم ودورها الواسطي بالنسبة للتراث اليوناني معروف معرفة عامة . غير أن الأثر المتواضع لهذا العلم العربي الاصيل في وسط كتاب من كتب النحو الحديثة لم ينظر اليه بعد ، من هذه الزاوية .

ولم نجد في نطاق عملي ، شعبا من الشعوب القديمة ، عني بلغته وفكر فيها وحاول تنسيق تأملاته حولها الا الشعبين اليوناني والهندي . أما الدور الذي قام به النحو القومي اليوناني فقد سبق ان أشرنا اليه وأما الهنود فقد تجاوزوا دقة اليونان في هذا المضمار وأظهروا أصالة في أبحاثهم ووصلوا الى القمة بمؤلفات بانينسي (Panini) أواسط القرن الاول قبل المسيح . وقد مهدوا بالفعل الطريق امام الباحثين الهندوجيرمانيين في الدراسات المقارنة بين اللغات . ولم تتم الانجازات العظيمة الرائعة في هذا العلم الا بعد دراسة السانسكريتية والبحوث الدقيقة التي قام بها النحويون الهنود الذين القوا الضوء على هذه اللغة وأوضحوا غوامضها الدقيقة .

ويقع النحو القومي العربي ، في المكان والزمان ، موقع الوسط بين النحويين الهندي واليوناني وهذا الموقع هو الذي جعل الناس يتساءلون الى الآن ، عما اذا كان النحويون العرب قد استعانوا بنماذج اجنبية ونظروا لهذا الوضع ولعدم تمكن العلماء من اعادة المراجع الى أصولها بالدقة المطلوبة أصبح من المستحيل الفصل في هذا الامر ، اذ ليس من المتوقع ان نجد

(1) بالعربي في الاصل .

قبل الخليل ، الذي يعتبر المؤسس للنحو العربي ، مصادر أقدم منه للرد على هذا السؤال . وفي القرن الثاني الهجري اي في نهاية القرن الثامن الميلادي ، طلع على الناس بيان عجيب ، هو بمثابة صرح لقواعد اللغة العربية . والذي شاد هذا البناء الشامخ هو تلميذ الخليل الفارسي سيبويه . وأهم أعماله النحوية هو مؤلفه المسمى « الكتاب » . وفيه أول عرض شامل منسق للغة العربية وهو بالنسبة للنحويين العرب « الكتاب » الذي لا يزال ثقة الى يومنا هذا .

أما نقطة الانطلاق بالنسبة لأكثر العلوم العربية نقاوة فتدور حولها مجموعة من الأساطير . فقد كان أبو الأسود الدؤلي - أحد انصار علي بن ابي طالب آخر الخلفاء - قاضيا في البصرة وهي المدينة الكبيرة التي كانت في اول أمرها معسكرا للجنود العربية ، والموجودة اليوم في جنوب العراق . وقد سئل أبو الأسود الدؤلي : كيف تعلم العلوم النحوية فأجاب بأن الخليفة نفسه هو الذي علمه اياها ولم يكن أبو الأسود يعير معلوماته اهتماما كبيرا حتى أمره حاكم العراق بوضع دليل للغة العربية ليتمكن الجمهور من تفهم القرآن كتاب المسلمين المقدس . ولم يبد أبو الأسود رغبة في الانصياع لهذا الامر يبد أنه سمع يوما أحد الناس يتلو جزءا من السورة التاسعة من القرآن (سورة التوبة : المترجم) كما يلي : « ان الله برىء من المشركين ورسوله (1) » بدلا من ورسوله كما هي القراءة الصحيحة . والقراءة الخطأ ليست أقل من الكفر لان معناها ان الله برىء من المشركين ومن رسوله . فذهل أبو الأسود من هذه القراءة وقرر على الفور تلبية امر الحاكم .

ليس من الصعب معرفة النواة التاريخية لهذه الاسطورة ، فالمسألة تدور حول المحافظة على تراث مقدس أي حول وقاية ما يمتقده العرب انه كلام منزل من عند الله بلغة عربية خالصة نقية . فكانت اذن الاسباب التي أثارَت عند العرب الانتباه الى القواعد النحوية هي اسبابا دينية . كان من الواجب ان يسان القرآن عن الأخطاء في أفواه العديد من الذين كان عهدهم بالاسلام حديثا . والاتصال باللغات الأجنبية في البلاد المغزوة هو الذي نبه العرب الى الاعتناء بلغتهم وليس هذا السبب أقل الدوافع لوضع النحو القومي ، مع العلم بأن الاتصال باللغات الأجنبية في البلاد الغربية

التعريف نفس تعريفنا نحن الغربيين ، مع العلم ان العلوم الاسلامية ومعها النحو العربي القومي قد اتجهت وجهة متباينة تمام التباين عن وجهة العلوم الغربية . فنحن نحاول توسيع المادة المأثورة وتنميتها حسب الامكان ، ففي مادة التاريخ - مثلا - نجتهد دائما في ضم مصادر اخرى حتى نستطيع تحديد اسباب مصرنا بطريقة ادق . وفي العلوم اللغوية نسعى الى مضاعفة تعميق نظرتنا حول تطور اللغة وذلك بواسطة طبع أهميات الكتب والبحث في اللغة الدارجة . نعم نقيم - نحن ايضا - نظرياتنا على اساس المواد الموجودة بين ايدينا ، واذا تغيرت هذه المواد او وجدت مواد جديدة يمكن ان تغير النظريات تحت ظروف معينة تغيرا حاسما . غير ان العلوم الاسلامية نمط آخر : فالمادة المتواترة قد اكتملت ووصلت الى حدودها في زمان معين في الماضي . فبعد ان اقام اللغويون العرب نظريتهم النحوية على اساس الادب العربي المعترف به آنذاك أصبحت هذه المادة المحدودة ، المقياس الوحيد لبناء النسق النحوي .

ولاجل هذا النموذج الذي وضعه النحويون الاوائل لم يؤخذ بعين الاعتبار مع القرآن الكريم الا الشعراء الاقدمون والنصوص النثرية القديمة القليلة من بينها الروايات الخاصة بايام المعارك التي خاضها العرب الجاهليون والامثال القديمة واحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، اما الادب النثري الجيد الذي ازدهر بغزارة بعيد عهد الامويين والذي هو جزء مهم من الادب العربي النحوي فلم يستعمل به لبناء قواعد اللغة . والسبب في اهماله وفي عدم محاولة تلاميذ سيبويه استخراج الامثلة النحوية من النثر يرجع الى قسرة الاسلام على التشبث بالمعطيات الاولى . واذا طبقنا ذلك على اليونان فانه يعني حصر استخراج النماذج النحوية على مؤلفات هيرودوت (Herodot) وتوكيديدس (Thukydidides) وبما ان لغة القرآن كانت هي اللغة القانونية والمحترمة الوحيدة وبما ان اللغة العامة كانت تختلف عنها في التشكيل وتركيب الجمل كان من الطبيعي ان يرفض العرب رفضا باتا استعمال ظواهر اللغة العامة في بناء النسق النحوي .

ولقد ادت الاعتبارات الدينية هنا الى تقلص المادة المتواترة وظهرت فعلا وفي زمن مبكر معارضة لهذه الفكرة وذلك في القرن الثاني الهجري وكانت المعارضة تتوخى توسيع المأثور اي الزيادة في المادة المستعملة لبناء النسق النحوي . لكن سرعان ما انتصر

في نفس الزمن - اي في القرون الوسطى - لم يؤد الى الاشتغال باللغة القومية : فاللغة العربية عرفت درجات مختلفة من النمو وكانت هذه اللغات المختلفة المستويات تتنازع الصدارة قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم - المترجم) . فمن ناحية توجد لغة دارجة منقسمة الى لهجات متباينة ، ومن ناحية اخرى اللغة العربية العتيقة الاتية من القدم ، لغة راقية او لغة الادب . ولا نستطيع اليوم تحديد الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما هذه اللغة الراقية ولا متى اعترف لها بالصدارة ولا متى اعتبر استعمالها ملزما بشروط معينة ، والشيء الذي لا يتطرق اليه الشك هو ان هذه اللغة كانت في زمن محمد (صلى الله عليه وسلم) متميزة عن اللهجات الاخرى واصبحت لغة نعم جميع القبائل فيما يخص الشعر والاحتفالات ذات الابهة والاحترام . وقد احتفظ الشعر العربي القديم - باوزانه الصارمة البنية - لهذه اللغة بتفاوتها . واهمية الشعر - كبديل للفن التشكيلي - الذي كان مستحيلا في الحياة البدوية - جعلت من الممكن ابقاء هذه اللغة حية على الدوام .

والتناقض بين لغة العامة ، ولغة الشعراء والقران كان لا بد ان يعمق التفكير في اللغة القومية . ومن المؤكد ان الذين اتخذوا تلاوة القرآن مهنة كانوا في نفس الوقت نخاة . فلم يكن تأويل القرآن الذي كان ينظم الحياة العامة والخاصة ممكنا الا بمعرفة دقيقة للغة الراقية . وفي المدينتين الطموحتين الكوفة والبصرة - بادنى العراق - نشأت مراكز للعلوم النحوية ، ربما اقتصر هذا العلم بادىء ذي بدء على مراقبة كلام البدر وجمع وشرح الاشعار والروايات الخاصة بالحروب القديمة والامثال والتقاليد ، فنصرف - مثلا - ان معظم اعمال الكوفيين مجرد تجميع . اما البصريون فيظهر انهم بكروا بترتيب المواد المتواترة والممثلان الرئيسيان لمدرسة البصرة الخليل وسيبويه ، هما اللذان اتما تنسيق النحو العربي .

نعرض على القارئ فيما يلي تأملا قصيرا عن النظرة الاسلامية للعلوم :

عرف السيوطي العالم العربي المشارك كل العلوم بانها جزء من المنقول المأثور الذي عولج بعقل وتدبر . ويشتمل هذا التعريف على ركني كل عمل علمي : احد هذين الركنين هو المنقول اي المادة المأثورة القابلة للمعالجة والتنقيح ، والركن الثاني هو عقل العالم المنقح مع موهبته البنائية والتركيبية . ويمكن ان يكون هذا

مذهب المتواتر المعهود على مذهب التوسيع والتجديد وحتى في النحو الذي ما كنا نتوقع فيه وجود علاقة بالدين يتمكّن النزاع المتواصل الذي نلاحظه في التطورات المذهبية والشرعية في الإسلام . وفي هذا النزاع انتصر انصار القديم المتصلبين . ولهذا السبب رفض ممثلو النحو القومي العظام ، الانشغال باللغة العامة أو تصحيح أخطائها . ولم يألوا جهدا في الحفاظ - بغيره - على القانون الذي هو نموذج الأعمال الأدبية العظيمة وعدم توسيعه، ولهذا استعملوا دائما في مؤلفاتهم نفس الأدلة والأمثال . وبذلك اتخذ النحو صبغة « علم معيار » وأخيرا أصبح هذا المعيار والمعبارة « ممنوع » سببا في أن اللغة العربية الفصحى ظلت هي ، في أساسها ، منذ ثلاثة عشر قرنا .

وإذا عرفنا أن النحو العربي لم يتزود بأية مادة حية من أية لغة حية ، سهل علينا أن ندرك كيف عدا هذا العلم بالضرورة ، شيئا فشيئا ، جامدا مثل العموية . ويمكننا أن نأخذ فكرة عن ذلك في رواية من روايات الشاعر الفارسي الشهير سعدي في ديوانه « جنّة الورد » في القرن الثالث عشر . ففي إحدى رحلاته إلى تركستان الشرقية - التي هي ولا شك ، ثمرة خياله الشعري - رأى سعدي في مسجد كئشكار طالبا منصبا بحماس على باب من أبواب كتاب الزمخشري . ويجب هنا أن استطرّد لأقول أن النحو العربي يشرح حالات الأعراب في جمل نموذجية صغيرة وتدرس نهايات الأعراب مرتبطة بنصوص مفترضة لا يحاد عنها قط ، ولذا سمع سعدي الطالب يقرأ : ضرب زيد عمرو وعمرو هذا مفعول وزيد فاعل . وحدث أنه في السنة نفسها عقد حاكم توران سلما مع القيصر الصيني بعد حرب طويلة . وقال سعدي للطلاب الشاب في سخرية خفية :

لقد تصالح توران والصين ، وما زال زيد يضرب عمرو . وإلى يومنا هذا يتضارب عمرو وزيد في جميع المدارس التي يلقن فيها النحو العربي على الطريقة القديمة .

هذا ولم يعتبر المسلمون قط اللغة شيئا متطورا وناميا كما لم يتفهموا الفرق بين اللغة والكتابة التي هي شيء عارض مخترع والسبب في ذلك هو القرآن أيضا فمعنى كل كلمة في نصه المأثور لا يوجد في صورته الملفوظة فقط ولكن يوجد أيضا - بل أكثر منه - في رسمه المكتوب الذي تناقله الأجيال في شكل معين . فلرسم والكلام نفس الوزن . وقد بنيت القواعد النحوية على أساس نص القرآن أي حسب صورة الرسم كما ترى بالعين لا حسب صورة اللفظ كما تسمع بالأذن . فأصغر جزء في الكتابة هو الحرف أما في العربية فهو الحرف المتحرك فقط (I) ولذلك يسوي في الاصطلاح النحوي اللفظ والحرف المتحرك والمدلول الذي تدل عليه الكلمة (Silbe) ، والذي هو أصغر جزء في الكلام الملفوظ المسموع ، لم يكن معروفا عند النحويين المسلمين في القرون الوسطى ولم تعرف اللغة اصطلاحا عليه ، وبما أنه لم يعمل إلا حسب صورة الرسم فكان المدلول الذي تدل عليه الكلمة (Vocal) ينقص في اللغة . ولم تدخل علامة الحركة في اللغة إلا عند ما أدخلت العلامات الدالة على فسر الحركة . ولم يحدث ذلك إلا لأن العرب يرمزون إلى الحركة بعلامة خاصة . والشيء الذي يثير الاستغراب هو أن نظرية صوتية تشبه نظريتنا قد بنيت على هذا الأساس . بل تطورت منها الأوزان الشعرية وذلك بدون أن يكون المفهوم من الكلمة (Silbe) معروفا .

وبالإضافة إلى معنى ضيق للمادة لا نفهمه نحن الغربيين ، فالمعرجي الخارجي الذي اتخذته النظرة إلى اللغة القومية في العالمين الغربي والإسلامي متباين تمام التباين . فالليونان ، وهم أساتذتنا في العلوم النحوية ، كانوا ، قبل اكتشاف العلوم المختلفة ، قد عنوا كثيرا بالعام الذي يكمن وراء الخاص واهتموا بمبادئ الفلسفة ، وبنوا بالفعل صروح المنطق ، وفي إطار هذا الأخير وجدت المادة التي تستند إليها العلوم المختلفة وخصيصا اللسانيات أرضا صلبة . فالكلام

- (1) تنقسم الحروف الأبجدية عند الغربيين إلى (Konsonant) بالفرنسية (Consonne) وهي ذات المخارج و (Vocal) بالفرنسية (Voyelle) وهي ما يسميه العرب الحركات كالفتحة والكسرة والضمة والسكون - الفرق بين العرب والغربيين هو أن الحركات عند الغربيين (a, e, i, o, u, y) تعد من الحروف وتكتب إلى جانبها - ولا تعد في العربية من الحروف ولا تكتب بالضرورة معها وإنما توضع فوقها أو تحتها إذا أشكل النطق - (المترجم)
- (2) يعبر عن هذه الكلمة اليوم بـ مقطع (المترجم)

والفكر عند اليونان يشتملان على نفس القوانين المنطقية . ولذلك كان من الممكن ادراك الاثنين في نفس المنهج الفكري . فيتساوى عندهم الحكم والجملة ، والمدلول والكلمة . اما في الاسلام فقد تطورت الامور تطورا مضادا على طول الخط ، حيث جمع المسلمون ، اولاً ، المادة اللغوية التي هي موضوع البحث والتنظيم ، ثم كونوا منها بعد ذلك نظرية لغوية ولا نقول ان هذه النظرية الاساسية غير منطقية ولكنها ليست ، كما عند اليونان ، منطقية صرف ، فالنحويون القوميون العرب ينظرون مع وعبر اشكليات والقالب الى محتويات ومعاني الجمل . واليونان ومعهم الفرييون اليوم يرون العام وراء الخاص . اما النحو الاسلامي فلم يستطع ان يخرج من الخاص الى العام الا بشق الانفس . وتصلح نظرية اليونان اللغوية ان تطبق على جميع اللغات لأنها تطورت تطورا موضوعيا . اما النظرة العربية الاسلامية الى اللغة فلا يمكن تطبيقها اساسا الا على اللغة العربية نفسها لأنها لم تنبع من مبادئ منطقية موضوعية صرف . ولذلك يمكن ان يفهم السبب الذي جعل اللغتين الادبيتين الكبيرتين الفارسية الحديثة والتركية العثمانية المعتمدتين على العربية ، لا تستطيعان تطوير نظرية لغوية خاصة بهما . فالفارسية الحديثة الهندوجيرمانية ابست ان تخضع لنسق لا يصلح الا للغة العربية .

وتختلف التقسيمات في النحو الاسلامي ، حتى في مظهرها ، عن التقسيمات في نحونا اختلافا كبيرا . فعلى اساس التوازن المنطقي بين الكلمة والمعنى وبين الجملة والحكم ، تنقسم قواعدنا النحوية الى دراسة تكوين الكلمات اي علم الاشكال ، ودراسة تكوين الجمل اي (Syntax) . اما النحويون العرب فينهجون نهجا آخر ، فهم يميزون بين المفردات من الناحية النحوية الصرف فقط ، حسب نهاياتها وحسب عملها الذي تعمله في الجملة . ثم يكفي تقسيم المفردات تقسيما خارجيا لا يستند الى بنيتها ، وخلال هذا التقسيم الى مفردات مختلفة الانواع يمكن استخراج نظرية حول تكوين الجمل ، لان الكلمات تتغير في نهاياتها حسب موقعها من الجملة .

وتقسيم الكلمات هذا الى انواع ، هو الذي ادى بي الى نقطة الانطلاق في هذا البحث . فيقسم العرب جميع مواد كلامهم الى ثلاثة اقسام : الاسم ، (1)

والفعل (1) ، والحرف (1) الذي نعبر عنه نحن بالجزئي . وهذا هو التقسيم الذي اخذه رويشليين من القواعد القومية اليهودية المقتبسة هي بدورها من القواعد العربية القومية . وقد ظن الناس في الاول ان العرب مدينون ، في معاني قواعدهم الاساسية هذه لتأثير اجنبي وبالاخص تأثير يوناني . مع العلم اننا ، نحن الغربيين ، لم نعرف الا بعض المؤلفات النحوية التي تحمل آثار التعريفات الارسطوطالية . وقد ظهرت هذه المؤلفات في وقت متأخر نسبيا وجاءت مرتطة بأصلها ارتباطا جديرا بالملاحظة ولم تنفصل عنها الا نادرا . بذلك كان من الممكن ان ينشأ اخيرا الاعتقاد القائل ان القواعد القومية العربية ارتكزت على الفلسفة اليونانية ، العكس تماما لما تواتر عند العرب الذين يعتبرون القواعد القومية علما عربيا محضا . وبهذا الاعتقاد فقد الفرييون ملكة تقدير المصادر القديمة بموضوعية ونسوا ان هذه المراجع الاصلية اقدم من التاريخ الذي دخلت فيه الحكمة اليونانية العالمية في دائرة الفكر العربي . وقد أتى بعضهم بدلائل ضعيفة جدا ليحاول ان يجد في انشاء المعاني عند النحو العربي تأثيرا من القواعد اللاتينية وذلك عندما قارنوا بين الاصطلاح اللاتيني (Terminus) والعربي « حرف » مع ان « حرف » يدل على شيء من الملفوظ او المكتوب صغير ليس محدودا في حجمه ، ابتداء من حرف او حرف متحرك حتى الكلمة وعبارة ، وجزء من جملة . ولا ينبغي فهم هذه الكلمة التي نعبر نحن عنها بكلمة (Partikel) اي قسم الكلام الثالث ، كما يفهم اليوم . فالمفهوم العربي لهذه الكلمة ليس كذلك . يقول سيويه ان الكلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : الاسم والفعل والحرف (1) ثم يعرف الحرف ويوضحه كما يلي : يعبر الحرف عن معنى ليس بالاسم ولا بالفعل . ولذلك فكلمة « حرف » تعني شيئا آخر غير الحرف المفرد او مجموعة من الحروف التي تكون كلمة لا معنى لها بذاتها . كل ما ليس اسما او فعلا ينتمي الى الحرف ويأتي بمعنى . ولا تمت هذه الكلمة الى الكلمة اليونانية (Syndesmos) بصلة . وفي العبارة « حرف معنى (1) » كما كان يسمى القسم الثالث في الاصل يقع الوزن في الكلمة الثانية « معنى » ويمكن التعبير عنه في لفتنا ب « مجموعة من الحروف الابدئية الدالة على معنى » .

(1) بالعربية في الاصل وترجمها المؤلف الى الالمانية

والمنطق الالهي وواجب النحويين هو ازالة الحجاب عن المنطق الذي يكمن وراء الكلمات واكتشاف اسرار اللغة (اسرار العربية) (1)

ويسمى العالم النحوي العربي ، من وراء الظواهر اللغوية الى استخراج قواعد تمكن من تفسير تطور لغوي . اما بالنسبة للعالم للغوي العربي فاللغة مبنية نفسها بناء منطقيا وينبغي له ان يستدل على منطق هذه القواعد ويبرهن على ان كل كلمة اينما تقع في هذا المكان على أساس من المنطق السليم ، وانطلاقا من ظواهر استثنائية معينة يقيم النحويون العرب المتأخرون - باستدلال صارم - قاعدة لغوية مطلقة وقد لعبت هذه القاعدة دورا صغيرا في مرحلة النحو العربي المتقدمة لانها غير عقلانية ولم تلائم حياة اللغة ، بيد ان هذا الدور نما فيما بعد نموا غير طبيعي واصبح النحو علما محتاجا الى استدلال ومعيار بدلا من ان يكون علما مفسرا وشارحا .

وهذا مثال لمنهجهم : تقتضي كلمة الاستفهام العربية « كم » المنصوب بعدها . لماذا ؟ يفكر العالم النحوي العربي كما يلي : تحل « كم » محل عدد . ولا يعرف السائل هل « كم » حالة محل عدد صغير او كبير . واعراب ما بعد العدد يختلف اختلاف وقوع العدد في احدى المجموعات الثلاث : (3 - 10) او (11 - 99) او (100 فما فوق) وبما ان الجواب غير معروف بالتاكيد فان الاختيار المنطقي الوحيد هو مجموعة الوسط (11 - 99) . وهذه المجموعة تقتضي المنصوب وكذلك - اذن - « كم » .

هذا مثال نموذجي لحوار النحويين العرب . فالقواعد العربية شاملة صارمة . ولا تقبل الاستثناءات . واذا حدث انحراف عنها يستعان بالتشبيه للدلالة على ان هذا الانحراف منتظم في القاعدة . ويؤتي لاجل ذلك بوجه او اوجه للشبه . واذا كان عاملان متشابهين يختار للثاني نفس العمل الذي للاول . ولا يهم ان يكون هذان العاملان قابلين او غير قابلين للمقارنة . وبما ان كل المفردات تتكون من الحروف المتحركة وبما ان هذه الاخيرة اجزاء اقسام الكلام المختلفة يمكن ايجاد علاقة بين الاسم والفعل الماضي ، مثلا ، وكما زادت اوجه الشبه الخارجية والداخلية امكن التسوية بين اعمال العوامل المشبهة ، وبما ان هنالك خمسة اوجه للشبه بين الاسم والفعل الماضي فذلك يكفي مثلا

يستعمل النحويون اليهود مرارا وبكل بساطة ترجمة عبرية لهذه الكلمة « معنى » للتعبير عن القسم الثالث للكلام . ولا يمكن التحدث عن استعمارة من اليونان . والمطابقة بين الاصطلاح العربي « اسم » والاصطلاح اليوناني (Onoma) (تسمية شخص او شيء) على قسم الكلام الاول ليس الا صدف محضة . ولا علاقة ايضا بين الاصطلاح اليوناني (Rhéma) (هذا الذي يحكى على شخص) والاصطلاح الدال على قسم الكلام الثاني « فعل » في العربية .

فالفاعل عند النحويين العرب ليس هو الفاعل عندنا . كان هذا الاصطلاح في الاصل اصطلاح علم المنطق ونقله اليونان الى النحو ويعبر عندهم عن الكلمة التي يقال عنها شيء . لا يعرف النحو العربي هذا المفهوم الاصيلي لكلمة « الفاعل » . فليست الجملة عند النحويين العرب حكما بل سلسلة من الكلمات الدالة على معنى . ولذلك ، فثمة انواع مختلفة من الافعال حسب هذا الشيء الذي يقال عنه . فاذا بدى بالفعل سمي الفاعل ، الذي في محل رفع ، « فاعلا » . ولكن اذا بدى بالاسم سمي الفاعل « الكلمة التي بدى بها » واذا بنيت الجملة للمجهول اصبح الفاعل غير فاعل ولكن مفعولا وسمي المفعول الذي لم يسم فاعله .

وقد ظهرت هذه المعاني النحوية الاساسية عند اقدم النسقين العرب . كانت المادة المخصصة للعمل محدودة للغاية ولذلك كان ينبغي ان يهتموا وخلفاؤهم معهم بالركن العلمي الثاني ، اي العقل ، المدير والمرتب ، اكثر من اهتمامهم بالركن الاول ، فبهذه الطريقة قد يكون ما يضيفه العالم الى المادة اكثر من المادة نفسها التي يستخدمها .

وبلاضافة الى ما سبق ، فان العرب لم يهتدوا الى مقارنة العربية بلغات سامية اخرى لانهم كانوا يكادون يجهلونها . اما تطبيق المنطق على اللغة فلم يكن ممكنا لانعدام النسق عندهم . ولهذا السبب تمت جميع اعمالهم على اساس مبدا واحد : القرآن كلام الله وهو العقل والمنطق . ولغة القرآن اذن مثال اللغة العربية ونموذج تعبيراتها ، ولا بد ان يظهر في كل جزء من بنائه المنطق الالهي . واذا كان اليونان قد سورا بين اللغة والفكر وبين قوانين اللغة وقوانين الفكر ، فالنحويون العرب قد سورا بين اللغة العربية

(1) بالعربية في الاصل .

القاضي الذي انيطت به اقامة العدالة الالهية والمحافظة عليها .

تفصلنا عوالم عن هذا المنهج وهذه النظرة العلميين بل من الصعب علينا بمكان أن نساير هذا النوع من طرق التفكير ولا يمكن تفسير هذا المنهج - كما قلت آنفا بايجاز - خصيصا بالنسبة الى النحو القومي العربي ، بالتأثيرات الاجنبية . فالعلم اليوناني والعلم العربي مؤسسان على مبادئ متباينة تماما . ولكن ليس من الانصاف الاستهزاء بهذا العمل العلمي . فانه يصدر عن سبب سام الا وهو واجب الانسان الاساسي في القرون الوسطى الاسلامية اعني العبادة (1) اي خدمة دين الله . ومن ثمة يأتي واجب الفرد ان يحيا حياة مستقيمة ، ومهمة العلم هي تنسيق وتاويل ما أتى به الوحي والحديث لاقامة هذه الحياة المستقيمة . ومهمة النحو كعلم من علوم اللغة ، في نشر القرآن والحفاظ عليه مهمة ممتازة للغاية ، ومن ثمة يمكن تفسير جموده فيما بعد ولكن من ثمة أيضا جاء الدافع القوي الى العمل .

والمرأة التي بحثنا فيها عن صورة اللغة العربية اكثر من مرآة بمعناها المألوف ، فهي بؤرة اشعاع ومصدر الضوء فيها هو الدين الذي ذابت اللغة العربية في اشعته لخدمة الاله .

لائبات ان هذا الاخير له الحق ، بالضبط كالاسم ، ان يغير ، قبل سواه حركاته .

يؤتي بالبراهين من كل ميدان ومجال . فمعروف في الطبيعة مثلا ان السبب يسبق السبب . ولذلك فلا تسمح اللغة ان تأتي الجملة الشرطية في المقام الثاني بعد جوابها في مركب شرطي . فهذه الجملة تدل على علة ولذلك يجب ان تسبق . اما الايقاع الجميل والعرف الرفيع فيفسران لنا كيف يجب ان يتبع المجرور عامل الجر فيه ، على العبد ان ينتظر حتى يأخذ السيد مكانه . وكذلك يجب على الكلمة المعمول فيها ان تقع وراء الكلمة العاملة . فيأتي مثلا المضاف قبل المضاف اليه ويقع حرف الجر قبل المجرور به .

فاللغة العربية صورة العقل والمنطق ونتيجة الفكر ، والعدالة والانسجام الالهيين . والاستثناءات من القاعدة توجد في هذا النحو بالندرة التي توجد بها الاستثناءات من العقل في الحياة . بل لقد برر بعض التحويين المتأخرين الاستثناءات من القاعدة بواسطة المنطق . وفي الحالات التي لم يكف فيها المنطق الفيت الاستثناءات بكل بساطة من المادة الاصلية ويقف عقل النحاة فوق المادة ويسهر على عقلانية اللغة ويتساوى في العمل المعياري مع

(1) بالعربية في الاصل .

الورق المهرق stencil

ذكر ابن الأبار (الحلة السبراء ص 137) « انه كان لعبد الرحمن كاتب اعتاد أن ينشيء الرسائل الرسمية في منزله ثم ينقلها الى ديوان خاص يصير فيه اظهارها على الورق وهو من نوع الطباعة فتصدر في نسخ متعددة توزع على عمال الدولة » .

اللغة العربية تماشي الأمة العربية إلى الأمام لأنها جزء حي منها

الأستاذ إلياس قنصل (عاصمة الأرجنتين)

الى تاريخها ، يريد ان يشوه معالمه الواضحة
العالية ليزيل الاتصال بين الماضي والحاضر .
الى نشئها ، يعني ان يبيث فيه من الانفلات ما
يذيب شخصيته المأهولة .
الى اقتصادها ، يرمي الى وقفه عند حد محدود ،
فلا يتفاعل مع امكانيات النشاط .
الى كل شيء .

وقد كان « اللغة العربية » نصيب وافر من تلك
الحراب المصوبة التي تقطر بالسم الزعاف .

طلعت الدعوات العديدة تشير الى وجوب البحث
في « تطوير » اللغة ، ولم يكن القصد لا التطوير ولا
ما يشبه ذلك من بعيد أو قريب .

كان القصد ايجاد البلبلة في اجزاء الامة التي
تتكلم هذه اللغة ، واحداث شكل من اشكال الفوضى
قد يمتد الى عوامل لها علاقة وثيقة باللغة .

كان القصد منها - الى ذلك - شغل فئة من
حملة الاقلام بالآخذ والرد والمباحكات والمناقشات
البيزنطية ، وصرفهم عن اذكاء نيران الحماسة في
النفوس لمحاربة الاستعمار .

لا نقول ان جميع الدعوات التي تعالت مطالبة
بالاصلاح ، كانت من ابياء الاستعمار ، فقد تنزه بعضها ،
عن ذلك ، ولكننا نقول ان معظمها كان مدفوعا من
الاخطبوط المذكور .

والذي يراجع تاريخ هذه الدعوات يجد ظاهرة من
اغرب الظواهر لا يمكن أن تكون من عمل الصدق :

كل سلاح وصل الى يد الاستعمار ، استعمله ،
محاولا القضاء على القومية العربية .

انزل الاستعمار على المدن العربية قنابله ،
ووجه الى صدور ابنائها رصاصه ، وهدم ، وخرّب ،
وشرد ، واعتقل ، ما شاءت له مطامعه .

ثم حاول - وقد رأى ان بطشه المكشوف لم
يجد - زعزعة اركان الوعي القومي العربي من الداخل ،
فرشد الانصار ، وجند الاعوان ، واشترى الضمائر ،
ولكنه على الرغم من ذلك ، لم يستطع الوصول الى ما
يبغي ، فقد كان هؤلاء الانصار والاعوان من القلّة ،
وكانت اليقظة الشعبية من الشمول ، بحيث اخفقت
محاولاته ، ورأى نفسه كما رآه العالم ، متعثرا بأذيال
الفشل ، لا يكاد يللم ذاته من حفره حتى يقع في حفرة
ثانية .

واذا كان الخذلان قد اصابه في محاولاته ، فليس
المعنى ان المعركة التي استهدفت لها الامة او بعبارة
اصح أن المعارك التي ساقها اليها ، كانت معارك هينة
لينّة ، كلا ، لقد كانت جولات عنيفة ، تركت في جوانب
الامة جراحا ضمدت بعضها ، ولا يزال بعضها ينزف
بالدم ، الى الآن .

صوب الاستعمار حراجه الى سائر مقومات الامة
العربية :

الى اخلاقها ، يريد ان ينفذ بالفجور الى
مناعتها ، فينهار تماسكها .

كانت هذه الدعوات تطل برؤوسها عندما يشتد ضغط الشعب مطالباً بالحقوق المفضوبة .

ان هذه الدعوات لم تكن تظهر ابداً في فترات السكون السياسي ، والاستكانة القومية وهي الفترات التي كانت حرية بأن تظهر أثناءها ، لان هذا الاصلاح - اذا صح ان مرماه الاصلاح - يحتاج الى درس ، لا يتم الا تحت ظلال الاطمئنان .

قال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية فوق مستوى الجمهور ، وانها وقف على طبقة معينة من الامة ، وان هذا عيب من عيوبها ، تلافية ان تكتب بلغة الشعب بالعامية . . .

ولو تم لهم ما اردوا ، لقصي القضاء المبرم على واسطة التفاهم بين الاقطار التي تضمها الفكرة العربية

لقد رأى هؤلاء ان اللغة العربية - في حالتها الحاضرة - تجمع السوري الى المراكشي ، كما تجمع المصري الى الويتي ، كما تجمع العراقي الى اللبناني حتى لا يكون بين المجتمعين اي فارق ، مهما كان ، فكان المقيم في أقصى القارة الاسيوية كالمقيم في ادنى القارة الافريقية .

راي هؤلاء المطالبون باصلاح اللغة ذلك ، فهالهم الامر الذي يكاد يكون منقطع النظير في ادوات التفاهم ، فعمدوا الى تفكيك هذه الوحدة ، وبرزوا بالنفمة « النشاز » : تحويل اللغة الفصحى الى العامية ، اي وضع حدود او شيء كالحودود بين اللهجات المختلفة بحيث يصعب التفاهم بين قطر وقطر ، واذا لم يصعب ، فلا اقل من ان يكون ثقيلاً .

ولو كانت نية هؤلاء ما قالوه ، لدعوا الى رفع العامية من مستواها الى المستوى الذي تتقرب فيه من الفصحى كما يفعل الزمن دون ان يشعروا ، فالاصلاح الحقيقي هو ان تنجبه الى الكمال ، لا ان تتحدر الى الناقص ، ومن البديهي الذي لا يكابر فيه ان الفصحى هي رمز الكمال ، لا العامية .

وقال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية ذات صرف معقد ونحو غامض ، وان الافكار تنصرف عنها لهذه الاسباب التي يستطاع ازالها بمحو جميع العقد منها ، وملاشاة الغموض ، اي بترك الحبل على الفارب ، لمن يشاء ، ويتحول الارباب فيها من قضايا منطقية ذات قواعد ، الى مجموعة من عناصر التشويش التي لا يضبطها منطق ، ولا تنتظم

في قاعدة . وينسى هؤلاء او يتناسون ان جميع لغات الدنيا التي تتداولها المحافل المحترمة لا تخلو من قواعد وقياسات وانظمة وما اليها ، وان بعض اللغات التي يعتبرونها مثالية شواذ لا يقاس اليها ما في لغة الضاد .

وقالوا فيما قالوا :

ان الاحرف العربية في هندستها الراهنة ليست احرفا تماشي الحضارة التي بلفتها الدنيا ، وان الواجب يقضي باستبدالها بحروف فرنجية ، او بحروف لا هي بالفرنجية ، ولا هي بالعربية .

وما يرمون اليه من هذا الاقتراح واضح : انهم يرمون الى وضع حاجز بين الجيل الحاضر والتراث العربي القديم الخالد ، انهم يرمون الى القضاء دفعة واحدة ، على ثمرات الفكر العربي في الاجيال الماضية وينسون او يتناسون ان التراث الفكري العربي القديم لا يشكل مفخرة من مفاخر العبقرية العربية فحسب ، ولكنه يصل الينا ، وهو خلاصة التجارب الفكرية في المدى العربي ، وهو عصارة الفلسفة العربية في نظرها الى الحياة ، والى ما في الحياة من مشاكل .

وقالوا فيما قالوا : اشياء كثيرة لا تخرج عن هذا النطاق ، ولكنها مفضوحة النيات ، مكشوفة المعامل .

لقد استطاعت اللغة العربية ان تعبر عن ادق الخواجج الانسانية ، وان تستوعب دقائق الفنون والعلوم في مختلف العصور الماضية ، فكيف تعجز الآن عن النهوض بهذه المسؤولية ، وقد سهلت امامها الوسائل التي لم تكن متوفرة في العصور الفائقة ؟ كيف تعجز الآن عن ذلك ، وقد تكشف للعلماء كثير من اسرار تراكيبها ومشتقاتها كانت مغلقة على الذين نقلوا اليها العلوم والآداب من الامم الغربية ؟

نحن لا ندعو الى الجمود .

انا نعرف ان تقدم الحضارة يتطلب ان ترافق اللغة ما يظهر من اختراعات ، ولكننا نعرف كذلك ان اللغة العربية في وسعها ان تجاري التقدم مجارة ليس بعدها زيادة لمستزيد ، فهي لغة لها اتساعها في مفرداتها ولها دقتها في جلاء اخفى ما تنطوي عليه النفس من شعور ، ولها غزارتها في منح ما يتطلبه الراءب في استيعاب مكنوناتها الدفينة ، ولها جمالها الذي لا يماثله اي جمال في اية لغة اخرى .

النتيجة الا ماشاء الحق ، وبقيت اللغة العربية في حصن حصين من مناعتها الطبيعية ، ولم تؤثر عليها هجمات الموتورين الحائقين .

والقومية العربية تعرف ان اللغة احد الاسلحة الفعالة في درء الاخطار المخيفة بها ، وهي لذلك تحرص على سلامتها حرصا لا يمكن ان يتسرب اليه الوهن ، وهي لذلك تمر بالدعوات التي تبدو بين الحين والآخر مرور الاحتقار والامتهان ، لانها تدرك ان الداعين لا يضمرون لها الاخلاص ، ولو اضمروه لتوجهوا الى ايجاد الاصلاح الحقيقي ، لا الى هذه الحملات التي لم تعد تخدم احدا .

ان لغة الضاد التي رافقت امتها في جميع الادوار وانبعثت منها الطرائف الخالدة ستظل تمشي هذه الامة في مراحلها الى الامام لانها جزء حي منها .

ان اللغة العربية فيها « حياة » يكاد المرء يلمسها كما يلمس الحياة في الكائن الحي الانساني ، وهي ، الى انها اداة للتعبير والتفاهم ، آصرة من اواصر القومية كان لها عملها في الاحتفاظ بهذه الروح التي نجدتها الآن في العالم العربي .

والاستعمار لم يكن على خطأ ، حين وجد فيها ، قوة من قوى العروبة ، بقاؤها على جيورتها ، نذير له بان الوحدة العربية التي يخاف منها ، باقية الاصول ، ينميتها الزمن ، ويفذيها الجهد المخلص اربعمائة سنة او تزيد ، بقيت اللغة العربية تجابه الطغيان العثماني ، مجابهة ، خرجت منها فائزة منتصرة ، وارتد الطغيان مدحورا مكسورا .

وعادت قوى الشر التي حشدتها الاستعمار الحديث ، فشنت عليها الغارات المتواصلة ، ولم تكن

تَحْقِيقَاتٌ لِعَوِيَّةَ

الأستاذ

عبدالقادر زمام

في مقال سالف تحدثنا عن كلمات : الشكازة والشكاز . والحوالة . والوادي بمعنى
النهر والنسبة الى مقرة ... !

وفي هذا المقال نتابع الحديث بالكلام على : المصاراة والمسرة ... !

الاولى : الدلالة الحقيقية لهذه الكلمة .

الثانية : الرسم الصحيح لكتابتها

ولنبدا في النقطة الاولى ... بالاشارة الى بعض
الكتب الاندلسية التي استعمل مؤلفوها كلمة المصاراة
لنرى مدلولها هناك ... !

— مؤلف الكتاب المسمى (باخبار مجموعة)
يستعمل كلمة المصاراة باعتبارها اسم مكان معين يقع
خارج عاصمة قرطبة ... ! جرت فيه عدة احداث
ومعارك بين عبد الرحمان الداخل الاموي ... وبين
محاربيه قبل أن يتم له الامر ... !

بل اننا نجد مؤلف هذا الكتاب يذكر المصاراة في
اخبار ثعلبة بن سلامة سنة 124 هـ . قبل مجيء عبد
الرحمان الى الاندلس ... وقد اقام ثعلبة هذا سوقا عند
المصاراة ... وبياع بها اسراها من خصومه
المغلوبين ... !! (1)

— ومؤرخ الاندلس ابو مروان ابن حيان القرطبي
(377 هـ — 469 هـ) يذكر المصاراة عدة مرات

المصاراة : كلمة معروفة ومستعملة في كتب
المؤرخين والجغرافيين الاندلسيين . كما انها معروفة
ومستعملة في المغرب نجدها في عدة مصادر تاريخية
مخطوطة ومطبوعة سنشير اليها فيما بعد ... !

والمعنى الاجمالي الذي يتبادر الى ذهننا لهذه
الكلمة . عندما نجدها في النصوص الاندلسية
والمغربية هو انها تعني عند الذين يستعملونها في
كتاباتهم ... الفضاء الفسيح الذي يقع خارج المدن
الكبرى وتحيط به الجنات والحقول مما يجعله معدا
لائمة للمهرجانات والافراح العامة .. والتمتع بجمال
الطبيعة في فصل الربيع ... !

لكن هذا المعنى الاجمالي الذي ندركه من خلال
الاستعمال . لا يكفي في ميدان التحقيق اللغوي الذي
يحدد المعاني بدقة . استنادا على نصوص معجمية .
او استعمال اصطلاحية معينة ... !

لذا كان البحث هنا في هذه الكلمة منصرفا الى
نقطتين :

(1) اخبار مجموعة ... ص 45

فاذا اطلق الاندلسيون كلمة (المصاراة) على الفضاء الفسيح المحيط بمدينة من مدنهم الكبرى المشتمل عادة على الحقول والجنات والياديين الواسعة ... فان ذلك ضرب من ضروب المجاز اللغوي المعروفة المستعملة في فصيح اللغة ...!

اما اذا كان هذا الفضاء مستعملا كلا او بعضا لعدو الخيول وسباقها بالفعل ..! فان الاطلاق يكون اذ ذلك حقيقة لغوية ... لا مجازا ..!

وبهذا ظهر ان كلمة (المصاراة) لها اصل لغوي صحيح . وان الاصطلاح الاندلسي مبني على هذا الاصل ...! فلا مجال فيها للتوقف ..! لا من جهة الاصل ..! ولا من جهة الدلالة ..!

وفي المغرب نجد الكلمة مستعملة عند عدد من المؤلفين . الا اننا سنشير الى بعض النصوص التي وردت فيها على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء..!

— مؤلف كتاب : (روض القرطاس) يقول : « ويحصد الزرع بفحص المصارات — كذا — التي بخارج باب الشريعة من ابواب عدوة القرويين عن اربعين يوما ...! وقد شاهدت الزرع حرث بالمصاراة المذكورة في خامس عشر من شهر ابريل . وحصد في آخر مايه ..!! » (5)

— ونجد الروض المريني المسمى بـروض المصاراة مذكورا في عدة مصادر كتبت بأعلام اعلام ذلك العصر .. ومن بعدهم ..!

— فابن الخطيب في (نفاضة الجراب) يذكر جنة المصاراة ويعبر عنها مرة أخرى بروض المصاراة. ويصف المهرجانات والاحداث التي شاهدها هناك ..! (6)

— وابن خلدون في (العبر) يذكر روض المصاراة الذي انزل به ابو الحسن المريني ضيفه ابن الاخير وكان هذا الروض لصق دار ابي الحسن ..! كما يقول ابن خلدون ..! (7)

وذلك في القسم المطبوع من كتابه (المقتبس) في بيروت 1965 م ... وذكر ابو حيان في القسم المذكور استقبالات كبرى جرت في مصارة قرطبة احتفالا بضيوف الاندلس الوافدين على عاصمتها اذ ذاك..!! (2)

كما ذكر اشياء أخرى وقعت في هذه المصاراة ..!

وفي هذا الكتاب وفي غيره نجد مصالحي المصاراة (3) لكن المصاراة ليست موجودة في قرطبة

وفي هذا الكتاب ليست موجودة في قرطبة وحدها بل ان هناك عدة مدن اندلسية نجد فيها مصارات أخرى لا غرض لنا باستقصائها الآن ..!

ويكتفينا الآن ان نرجع الى القسم المطبوع من كتاب (ترصيع الاخبار وتنويع الآثار) الذي ألفه الجغرافي الاندلسي احمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي لنجد فيه خبرا عن : « وتيقعة المصاراة بلورقة » (4) باقليم مرسية ، وبذلك نتأكد لنا ان

(المصاراة) ليست علما على موضع خاص في قرطبة ..! بل هي « اصطلاح » اندلسي عرف واستعمل عند الاندلسيين منذ سنواتهم الاولى ... حتى صار لكل مدينة كبرى هناك مصارة ...! ولا بد ان نتساءل عند البحث ... عن الكيفية اللغوية التي نشأ بسببها هذا الاصطلاح هناك ...! وعند الرجوع الى (تاج العروس) نجد هذا النص اللغوي :

« مضر الفرس كعني استخرج جريسه ..! والمصاراة بالضم الموضع الذي تمصر فيه الخيل ..! »

فالمادة لغوية معجمية ما في ذلك من شك ...! والمعنى اللغوي لكلمة المصاراة كما شاهدنا في النص . هو الميدان الذي تطلق فيه الخيل لاجل العدو والسباق واستخراج الطاقة الحيوانية .

ومن شأن الميدان المعد لذلك ان يكون خارج المدينة في فضاء فسيح ..!

(2) الارقام المذكورة في فهرسة القسم المذكور ...!

(3) ابن عذاري ج 2 ص 199

(4) نصوص الاندلس ص 5 معهد الدراسات الاسلامية بدمريد 1965 م

(5) الجزء الاول ص 59 . ط . الرباط 1936 م وانظر أيضا ص 54 من نفس الجزء ...!

(6) نفاضة الجراب ص 184 و 213 و 217

(7) العبر ج 7 ص 531 . ط . بيروت 1959 م

وغني عن التأكيد اننا هنا بصدد البحث عن
(كلمة) المصاراة .. ! لا عن (موضع) المصاراة ...

واشتهرت هذه الكلمة في عصر بني مرين وفي
الوثائق المتعلقة بعاصمتهم ... ومن أجل ذلك تداولتها
الاسنة والأتلام طوال ترون بعدهم . واستمر ذلك الى
الآن ... ! في الوثائق الخطية المتعلقة بالاملاك التي
كانت تجاور المصاراة لمعينين أو للاعباس ..!

ولا شك ان رسم الكلمة رسما صحيحا يتوقف
على استحضار أصلها اللغوي ومعرفته ... ! فاذا نسي
هذا الأصل أو أهمل ..! فان الكلمة تأخذ طريقا أو
طرقا الى التحريف والتصحيف ... ! وهذا ما حدث في
كلمة المصاراة ...

وقد وصلنا الآن الى النقطة الثانية ... وهي
الرسم الصحيح لكتابتها ... !

ونشير هنا الى اننا لاحظنا في الوثائق التي مرت
إمام أعيننا « وجلها من الصكوك المخطوطة » ان هناك
من يكتبها ... المصاراة ..! (بالصاد) ومن يكتبها
المسارة ..! (بالسين)

ولا يبعد ان يكون غيرنا قد اطلع على رسمها
رسما ثالثا أو اكثر .. !

— وفي مقدمة (جذوة الاقتباس) لابي العباس
ابن القاضي نجد ناسخ الكتاب كتب المصاراة هكذا
« جنات المسارة » بالسين .. !

ولا شك ان ما قدمناه كاف لاتناعنا ان رسم
الكلمة الصحيح لفة واصطلاحا هو (المصاراة)
بالصاد ... لا بالسين .. !

والغريب ان هذا التصحيف الذي لمساته فيها
يرجع للمصاراة المغربية في عاصمة بني مرين قد لحق
المصاراة الاندلسية في عاصمة الامويين .. ! بناء على
ما جاء في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية
بمديرية ... ! (8)

وننتقل الى كلمة — المسرة —
ففيها يرجع الى الدلالة اللغوية نجد المسرة
مصدرا ميميا للفعل سرت ...! كما نجد اسمها لأطراف
الرياحين ... (9)

اما في المسوع بين الناس في المغرب . وكذلك
في بعض الكتب التاريخية فان المسرة تعني جنة فيحاء
من جنات مراكش الحمراء وقد استست هذه الجنة
وغرست وجرت اليها المياه على عهد الموحدين ..!

وعلى المنهاج الذي سرتنا عليه فاننا نبحث
عن (كلمة) المسرة ... ! لا عن (موقعها) او (صفاتها)
التي ذكرها المؤرخون ..! او بعبارة أوجز وادق .. فاننا
نبحث عن الاسم لا عن المسمى ... !

فهل سمي الموحدون منشآتهم التي غرسوها
بأنواع الاشجار والرياحين في مراكش بهذا الاسم
— المسرة — فعلا ... !!

ومع اعترافنا من الناحية اللغوية بصحة تسمية
الرياض وما في معناها باسم المسرة . لكونها ظرفا
للسرور الانشراح ... او سببا من اسبابها . او لغير
ذلك من العلاقات ..! فان البحث هنا منصرف الى شيء
آخر ... وهو كما قلنا آنفا :

— هل سمي الموحدون منشآتهم التي غرسوها
بأنواع الاشجار والرياحين في مراكش بهذا الاسم
— المسرة — فعلا .. !!

ونؤكد اننا لا نشك ان الموحدين جعلوا عاصمة
الامبراطورية الكبرى بعدد من الحدائق والجنات
والتصور والمساجد والبريات ... !

ولكن هناك فرقا بين « انشأوا » وبين « سموا »
ونحن نبحث عن الثانية دون الاولى ... دفعا لكل
التباس ..!

فالمؤرخون الذين تناولوا تاريخ مراكش وهم
كثيرون يذكرون « المسرة » باعتبارها من منشآت
الموحدين ونكتفي هنا بالإشارة الى المقدمة الحافظة
لكتاب « الاعلام بمن حل مراكش وأغيات من الاعلام »
لمؤلفه القاضي عباس ابن ابراهيم رحمه الله ... !

فاننا نجد فيها نقلا عن المؤرخين .. ان عبد المومن
« انشأ » المسرة ... ! التي يظاها جنات الصالحة ...
كما نجد ان عبد المومن « انشأ » المسرة وهي البستان
الذي « جده » المنصور الذهبي ... ! (10)

وبحثنا — جهد الامكان — منذ مدة في المصادر
والكتب التي لابس مؤلفوها دولة الموحدين وعزموا

(8) المجلد الثالث عشر مدريد 1965 م — 1966 م

(9) اعتمدنا على تاج العروس في المادة ..!

(10) انظر من الصفحات 67 و 86 و 94 .

عاصمتهم مراكش . ومنهم من سكنها فعلا في العصر
الموحدي ... ! فلم نجد فيها تسمية ما أنشأه الموحدون
هناك باسم « المسرة » ولا باسم « المصار » .. !!
بل وجدنا أسماء أخرى لا غرض لنا بذكرها الآن ... !

واهم هذه الكتب الموحدية هي :

— الاستبصار في عجائب الامصار

— المعجب في تلخيص اخبار المغرب

— القسم المنشور من نظم الجمان لابن القطان .

— تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة

— مجموع رسائل موحدية

— كتاب المؤرخ البيدق

بل اننا نجد المؤرخ البيدق يذكر في كتابه : اخبار
المهدي . ان عبد المؤمن كلف اميرا من امراء الاندلس وهو
احمد بن ملحان .. ؟ ملك وادي آش .. ! بتنسيق بسنانه
العظيم الذي أنشأه بمراكش وهذا البستان يسميه
البيدق « شنطولية » (11) .

فهل جاءت كلمة « المسرة » التي نراها عند
بعض المؤرخين من تعريب كلمة « شنطولية » التي
حافظ لنا عليها المؤرخ البيدق .. !!

ولا بد لنا هنا من تطبيق القاعدة المعروفة في
الابحاث العلمية وهي :

— ان عدم الوجدان لا يقتضى عدم الوجود ... !

فاذا لم يتيسر لنا الآن الاطلاع على نص موحدي
فيه كلمة « المسرة » فمن الجائز ان غيرنا من الباحثين
— مستشرقين أو عرب — قد اطلعوا عليه فعلا .. أو
سيطلعون عليه في مخطوط أو مطبوع ... !!

اذ ان من السهل ان يثبت الباحث شيئا وقف على
نص يثبته ... ولكنه من الصعب ان ينفي شيئا لم يجد
له نصا ... !!

هذا اذا كان يحترم منطق العلم ... !

ويطبق آداب البحث ... !

واذا كان المؤرخون الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد
عصر الموحدين قد استعملوا كلمة « المسرة » فيما
يرجع لمنشآت الموحدين بمراكش .. ! فانهم استعملوا
كلمة « المصار » فيما يرجع لمنشآت المرينيين بفاس .. !

ولكن لا ينبغي ان نستنتج من ذلك نتائج جزائية
أو نفرض فروضا خيالية لا سند لها من النصوص ...
لهذا كان من اللازم ان نتابع البحث الذي بدأناه ..
ونسير به في كتب المتأخرين كما فعلنا في كتب المتقدمين

— فالمؤرخ اكنسوس في (الجيش العرمرم) وهو
خبير بتاريخ مراكش وفاس .. يذكر في كتابه ...
مسرة الموحدين بمراكش (12) كما يذكر مسرة فاس .. !
ويقول عن هذه الأخيرة بالحرف : « وإما المسرة
فليست الا على ضفة نهرها المطرد ... ! (13)

فمن مسرة مراكش فان كلام اكنسوس يدخل في
عموم كلام المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر
الموحدين ... ! حيث اننا نحفظنا ونحتفظ الى ان نجد نصا
موحديا يسمي منشآت الموحدين «مراكش باسم
(المسرة) فعلا ... !

وعن مسرة فاس ... ؟

فان الامر يستدعي ان يقوم دليل يدل على ان
هناك بفاس شيئين اثنين :

(المصار) التي تحدثت المصادر عنها كما
شاهدنا ذلك في النصوص السابقة ... !

(والمسرة) التي ذكرها اكنسوس ... ! والحالة
هذه . ونحن لحد الآن ... لا نعرف الا الاولى ... !

— والمؤرخ الواعية ابو العباس المقرئ حدثنا في
كتابيه : روضة الاس ... ونفخ الطيب عن روض
المسرة الذي هو ثالث مصانع المنصور الذهبي .. (14)
البديع .. ! والمشتهى .. ! والمسرة .. ! والظاهر
انها كلها بمراكش .. !

ويقول المقرئ ان المنصور الذهبي وري بمصانعه
الثلاثة في بيتين انشدهما ..

(11) أخبار المهدي ابن تومرت ص 120 . ط باريز 1928 م .

(12) الجزء الثاني ص 10 و 22

(13) المصدر السابق ص 55

(14) النفع ج 7 ص 80 و 81 . ط . بيروت وزهرة الاس ص 25 ط . الرباط

والذي يزيدنا اطمئنانا على هذا (التحفظ) الذي
تحفظنا به في شأن كلمة (المسرة) هو ان ابا العباس
المقري كان متمكنا من معرفة الاسماء والمسمايات في
الموضوع ...

نقد وجدناه يفرق بين (روض المسرة) الذي هو
من مصانع المنصور الذهبي بمراكش .. ! فيكتب
(المسرة) هكذا بالسين وبدون ألف ... كما في النص
الذي اشرنا اليه قبل في نفع الطيب وروضة الآس ...

وبين (قصر المصارة) بفاس الذي هو من
منشآت المرينيين فيكتب (المصارة) بالصاد بعدها
الف ... كما هو الصواب .

وتد حدثنا المقري عن قصر المصارة المريني
وروى لنا شعر ابن خبيس الذي سمعه ابو عنان في
هذا القصر ... ! (15)

بستان حسنك (أبدعت) زهراته
ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى
وقوام غصنك (بالمسرة) ينثني
يا حسنه رمانة (للمشتهى)

فالمنصور الذهبي المتوفى سنة 1012 هـ حينما
سمى أحد مصانعه العظمى بمراكش .. باسم (المسرة)
كان يعبر عن رغبة خاصة ! كالرغبة التي دفعته
ليسمي المصنعين الآخرين باسم (البديع) و
(المشتى)

ولهذا تكون (مسرة) الذهبي بمراكش امرا
واقعا ليس له من دافع .. !

اما (مسرة الموحدين) بهذا الاسم فتحتاج في
راينا المتواضع الى نص موحد يثبت ان الموحدين
استعملوا هذا الاسم .. !!

(15) ازهار الرياض ج 2 ص 316

دخيل أم أثيل

للهنأف عهد الحوافضيل

- 4 -

السرب :

مشيته لانه يدرج اي يمشي قبل ان يطير ، وللدراج في العربية مشتقات كثيرة ليس هناك ما ينبىء ان اسم (الدراج) ليس منها . وائل اللفظة (الدر) - زنة الجر - ومنه الدرير : السريع من الدواب .

الطريق ، أر : (دربو darbo)

اصل معنى الدرب هو الباب الاكبر ، وبسبب السكة الواسع الذي صرنا نسميه البوابة ، مقابل (gate) بالانكليزية.

الدراعة (زنة الرمانة) :

اما ائل اللفظة فهو (الدار) بالعربية و (دور (dour بالاشورية كالذي تطرقتنا اليه في العدد الماضي من اللسان العربي ، وتوجد الكلمة بشكليها العربيين في الفارسية (در dar) ودرپ (darb) بمعنى الباب وبشكلها الاثوري في الانكليزية (door) بمعنى الباب أيضا .

جبة مشقوقة المقدم ، أر : (دورعو dour'o) : ثوب تحتاني من صوف عند الرومان .

وهذا ينبىء بكل وضوح ان (الدار) كانت تعني الجدار الذي (يدور) أي يحيط بالبيت اول الامر (كما ذكرنا في العدد السابق) ثم أطلقت على البيت نفسه ، ثم على باب البيت ، ثم على باب السكة ، ثم على السكة أي الطريق . وعندئذ ظهرت في الارمية بصيغة (دربو) بهذا المعنى الاخير .

ان (الدرع) ائلها (الدرء) أي الدفع وهذه ائلها (رد) ، وانما سميت الدرع بهذا لانها تدرأ أي ترد عن المحارب ضربات قريعه ، ولها كانت الدرع تلبس كالثوب صارت تطلق على بعض الملابس استعارة ، ومن ذلك درع المرأة : تميصها ، ودرع الجارية الصغيرة : ثوب صغير تلبسه في البيت . ومن ذلك سموا الليف الذي يكسو النخلة (درعة) زنة جرعة . فلا عجب ان أطلقوا (الدراعة) على الجبة المشقوقة المقدم . وينفس المعنى قالوا (المدرمة) - زنة المقرعة - أيضا . لكن اللغويين لم يقولوا ان هذه الاخرة من الارمية لانهم لم يجدوا لها فيها شبيها .

الدراج (زنة الدكان) :

ويلاحظ ان الصيغة الارمية يقابل مبنهاا درع المرأة ، لا الدراعة التي تعني الجبة المشقوقة المقدم ، كما ان معناها لا يطابق الثوب تحتاني الصوف عند الرومان .

طائر يشبه الحجل ، أر : (دروكو drogo) .

انما سمي الحجل بهذا من مشيته لانه يبدو حين يسير كأنه يحجل ، ومثل ذلك سمي الدراج مسن

أدركت الشسيء :

علمته ، فهمته ، أر : (درك drak) دخل مكانا .

الراحة :

هي الاستراحة . أر : (روتو rawhto) من (روح) : تنفس .

تحدثنا عن الراحة والروح والريحان والمروحة.. في عدد سابق ، وبرهنا على أثالها في العربية .

الرب (زنة الضب) :

المولى ، أر : (ربو rabo) : كبير ، استاذ رئيس .

وردت الكلمة في البابلية أيضا ومنها اسم حمورابي (= حمو : الحمو أو الاب + رابي : الكبير) وأثلها هو فعل ربا يربو الذي أصل معناه الارتفاع بدليل أن الرابية هي ما ارتفع من الأرض . وهذا الفعل أثله (ربا) بالهمزة بمعنى ارتفع ، ولكل من هذه الأفعال الثلاثة (رب وربا ورباً) اشتقاقات كثيرة لا تدع مجالاً للشك في أثالها عربيتها . وإن أردنا ترسييسها زيادة في الاقتناع فإن (ربا) أثله رفع وهذا من فرع وهذا من فرع وهذا من فرع (أي محاكاة صوت أجنحة الطائر عند فراره) .

الرب (زنة الدب)

ما يختر من عصير الثمار ، أر : (روبو roubu) .
ان هذه الكلمة وان كانت من نفس مادة الكلمة السابقة فإن أثلها يختلف عن أثلها . فالرب هنا من الكلمات المائية الكثيرة التي تنتهي بالياء مثل : الجب والصب والعب والسرب والشرب .. وأثلها جميعا (آب) : ماء . أما (الرب) فأثله المباشر الرب ، وقد قالوا راب اللبن : خثر فهو رائب ، وأصل معنى (راب اللبن) هو موه الحليب أي انفصل (ماؤه) فتكثف قوامه وخثرت مادته : ومن روب اللبن نشأ السرب بمعنى التخثر عابمة ومنه تخثر عصير الثمار ، ثم ظهر في الأرامية .

الريبة (زنة الخفة) :

الجماعة الكثيرة من الناس ، أر : (ربوتو rébouto) .

هذه الكلمة أيضا أثلها ربا يربو ، وهذا أثلها ربا يربا (بالهمزة) بمعنى ارتفع كالذي تقدم بنا . ومن

نشترط في ترسييسنا اللغوي التشابه في اللفظ والمعنى جميعا ، والا فإن مجرد الشبه اللفظي لا يؤدي إلى نتيجة يعول عليها . فكلمة zink (خارصين) بالانكليزية مثلا لا نستطيع أن نقول أنها بنت (زنق) العربية ولا أمها ، لأن تباين المعنى لا يسمح لنا بمثل هذا الادعاء . لكن لما كان المعنى الباقي من (الزنق) في المعجم هو جعل (الزنابق) تحت حنك الفرس أي ذقنه كان في وسعنا أن نقول أن (زنق) هذه بنت (الذقن) العربية وأم (زنخ zenakh) الفارسية التي تعني الذقن أيضا .

فاذا كانت (أدرك) العربية بمعنى فهم تشبه (درك) الأرامية التي تعني (دخل مكانا) فلا نرى وجهها لاعتبار أيتها مقتبسة من الثانية ، وبينهما هذا التباين في المعنى .

لكننا نستطيع أن نرشدهم إلى أثل هذه الكلمة الأرامية في العربية وهو (أدرج) الشيء في الشيء : ادخله ، ومن ذلك (الدرج) - زنة البرج - بمعنى السفت والتمطر لأنهم يدرجون فيهما الأشياء أي يدخلونها . ومن ذلك قولك أدرجت العبارة بين السطور بمعنى ادخلتها ، وصارت تعني دونتها أيضا .

وما أظننا بحاجة إلى تعداد استعمالات مادة (الدرج) وتطوراتها الكثيرة في العربية لنبرهن على أنها أثل (درك drak) الأرامية .

داس الحنطة :

درسها ، أر : (دوش doch) .

أثل الدوس في العربية هو (الدش) - زنة الرش . ومن ذلك قالوا دش القمح ونحوه : رضه . والدش أثل ورسه (الدق) ، والدق من محاكاة صوته . ومنه الدك أيضا . فالدش هو أثل (دوش) الأرامية والدوس العربية كليهما . أما في الانكليزية فهي dash : حطم .